(المحاضرة الاولى)

نشأة الجغرافيا السياسية وتعريفها ومناهجها

تعد الجغرافيا السياسية Political Geography أحدث فروع الجغرافيا البشرية وأكثرها أهمية، ويؤكد هذه الأهمية تلك المتغيرات الإقليمية والدولية المتسارعة في كافة أنحاء العالم، نظرا للدور الكبير الذي يؤديه عامل المكان في حياة الدولة المعاصرة وتحديد قوتها بوجه خاص، وفي مسار العلاقات الدولية بوجه عام.

اسلوب بحثها

وتبحث الجغرافيا السياسية في كل ما يتعلق بالوحدات السياسية من حيث تكوينها وتطورها في ضوء معطيات الأرض من موقع ومساحة وحدود وتضاريس وشكل عام وسكان. وهي تشترك مع علم السياسة في دراسة الدولة أو الوحدة السياسية، خصوصا وأن الدولة هي محور علم السياسة منذ التاريخ القديم عندما كان هذا العلم مجرد أفكار سياسية عامة، وصولا إلى تاريخنا المعاصر، حيث علا شأن الدولة في حياة المجتمعات الإنسانية وتطورها، ها، وفي وفي . الأسرة الدولية التي تضم كافة الدول والوحدات السياسية المكونة لها. وبذلك تشكل الجغرافيا السياسية ميداناً مشتركا بين الجغرافيا البشرية وعلم السياسة، وتزداد دراستها أهمية بعدما انتقلت من أفكار ومبادئ عامة إلى قواعد علمية، وما تزال التطورات والمتغيرات الدولية المعاصرة دليلاً على فاعلية الجغرافيا السياسية وأهميتها العلمية.

نشأة الجغرافيا السياسية

بداية نشأة الجغرافية السياسية تحكي قصة تطور المجتمعات البشرية في حرفتها من الجمع والالتقاط إلى الصيد، ثم الرعي فالزراعة و أخيراً الصناعة إنما تحكي قصة تطورها في تكوينها من أفراد الى عشيرة وإلى قبيلة ثم إلى أمة، ثم تكون الدول بمعناها السياسي كوحدة سياسية لها حدودها الموضوعة، وتضم شعبا له حكومة تدير شونه.

وقد جاء ولادة الجغرافيا السياسية كعلم في أواخر القرن التاسع عشر، اذ كان لمولدها إرهاصات من القرون القديمة والوسطى، فنجد المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت يذكر أن سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها. واعتبر أن حياة المصريين رهينة مياه النيل فقال عبارته الشهيرة: "مصر هبة النيل" وذلك في معرض دراسته لتأثير الجغرافيا في حياة الدول، وهو الذي أشار إلى أن ملك الفرس " كورش " رفض قيادة شعبه للسيطرة على مزيد من الأراضي الحقيقية بسبب خوفه من تأثير لين المناخ على نفوس رجاله ودفعهم نحو الضعف والتراجع.

ونجد أن سترابو ذكر أيضا في كتابه الجغرافيا والذي يتناول الإمبراطورية الرومانية يذكر أن الدولة إذا كانت كبيرة فإنها تكون في حاجة إلى حكومة مركزية قوية يتولى السلطة فيها حاكم فرد حتى يتسنى لهذه الحكومة اداء وظيفتها على الوجه الأكمل.

كما ربط مونتسكيو Montesquieu بين الظروف المناخية وبين القدرة على التنظيم، أو القدرة على العدوان) أو (بين الظروف المناخية وبين التشريعات التي تخضع لها الجماعات البشرية.

والعالم العربي الكبير عبد الرحمن بن خلدون" في كتابه المعروف المبتدأ والخبر في أحوال من ذهب من أخبار العرب والعجم والبربر)، والمعروف بمقدمة ابن خلدون) شرح التفاعل بين الجغرافيا والسياسية متحدثا عن ميل شكان وسط أفريقيا إلى الدعة والمرح نتيجة لظروف المناخ السائدة هناك، وسبق كثيرا من العلماء في حديثه عن أهمية العامل الجغرافي للعاصمة - أو مركز الدولة - متوقفا عند دور العاصمة في السلم والحرب.

كما ظهرت في كتابات أفلاطون" و "أرسطو" و " جان جاك روسو" و "بودان" إشارات و ملاحظات حول الدولة ولكن لا يوجد واحد منهم تناول الموضوع كفرع قائم بذاته.

وكان الألمان أكثر العلماء اهتماما بالجغرافيا السياسية، وقد تطور هذا العلم على أيديهم تطوراً كبيراً، حتى أصبح أداة من أدوات الحكم في الدولة، فقد كانت للمانيا في مطلع القرن التاسع عشر تعاني ضيقاً في أرضها وتضخماً في سكانها، وكانت في الوقت ذاته محاطة بجيران أقوياء لا يفصل بينهم أية حدود قوية. كما أن عدداً كبيراً من أبنائها كان يعيش خارج حدودها، ومن أجل هذا اتجه التفكير السياسي في ألمانيا إلى العناية بكل ما يساعد الدولة على أن تقوى وتنهض ، وحددت أهدافها على هذا الأساس، وأخذت تعمل جاهدة على تحقيقها و كان سبيلها إلى ذلك أمرين:

الأمر الأول: هو توسيع الدولة حتى تضم العناصر الألمانية جميعاً.

الأمر الثاني : هو تقوية الدولة حتى تصبح قوة عظمى.

ومع مرور الوقت زاد اهتمام ألمانيا بالقوة إلى أن أصبح التفكير في القوة العسكرية الألمانية مرضاً يصيب الألمان جميعاً. وربما كان للألمان عذر في ذلك؛ لأنهم بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ (١٩١٨) حاولوا أن يبحثوا في أسباب هزيمتهم في تلك الحرب، فقادهم البحث إلى العمل في الدراسات

وبعد فردريك راتزل Firedrich Ratizal العالم الألماني (١٨٤٤) (١٩٠٤) أبا الجغرافيا السياسية والمؤسس الحقيقي لها وقد ترك بصمة كبيرة في مجال الجغرافيا السياسية في هذه المرحلة التاريخية المبكرة.

حيث ركز على العلاقة بين السياسة والبيئة الطبيعية وخاصة الأرض والمناخ. وكان راتزل من أنصار المدرسة الحتمية الجغرافية فضلا عن تأثره بكتابات دارون التي ترى أن البقاء للأصلح (للأقوى)، وقد رأى أن الدولة هي كائن عضوي حي وأن نجاحها يتوقف لدرجة كبيرة على مقدرتها لاكتساب الأرض، وعلى أنها تعبيراً للرابطة بين الإنسان والأرض، كما كان يرى أن الدولة مثلها مثل الكائنات الحية تخضع لقوانين الانتخاب الطبيعي، ولا يبقى منها في النهاية إلا الأصلح للبقاء. وقد لاقت أراءه قبولاً في أماكن كثيرة في العالم، اذ ان اراءه كانت غير خاضعة للجلد، كما أن محاولته لوضع معلومات الجغرافيا السياسية المعاصرة في نظام قد ظهرت في عام ١٨٩٧م.

وكتاب راتزل Politische Geographic السياسية في الجغرافيا أوضح : فيه أن العوامل الجغرافية تتحكم في نمو الدولية وتكوينها، وأن حدود الدولة قابلة للنمو والزحزحة حتى تبلغ حدودها الطبيعية بل وتتعداها إن لم تجد مقاومة من الجيران.

وبذلك كان نمو مفهوم المجال الحيوي من صنع راتزل أيضا، وتعتبر أراء راتزل همزة وصل ونقطة بداية لكل من الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكGeopolites ، رغم أن العلمين لم يتعايشا معاً في توافق وتوائم بعد وفاته. أما ما بعد راتزل فقد أخذت الجغرافيا السياسية تتقدم بخطي وئيدة متعثرة بالرغم من أن أعمالا ذات قيمة قد صدرت في فترات مختلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين، ولكنها لم تقدم إضافة تذكر للأسس التي وضعها راتزل من قبل. وكان على رأس من ساهموا في تلك الأعمال " إسحاق بومان Isaac Derwent و " ديرونت وتيلسي The New World في كتابه "العالم الجديدBowman "

The Earth And State"في كتابه " الأرض والدولةWhittlesscy

وكان بومان كأخصائي إقليمي أمريكي في مؤتمر فرساي للسلام، وثيق الصلة بالسياسة والجغرافيا معاً وساهم في تسوية مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) - (١٩١٨)، فقدم تصوراً رسمياً حيادياً لعام جديد بدأ يظهر من بين ركام تلك الحرب.

بينما ركز كتاب ووتيلسي Whittlesscy على معلومات منهجية وعلى العلاقة الدولية التي ترتكز على المستوى المحلي وقد أدخل العالم السويدي رودلف كيلين Rudolf Kiellen

1864 - 1922)) بعض التعديلات على الفكرة التي تقول بأن الدولة كائن حي، حيث رأى كيلين أن الدولة ليست كائنا حياً وحسب ، بل هي أيضا كائناً ذا شعور مزدوج بقدرات فكرية و أخلاقية عظيمة، وتمثل الأرض التي يعيش عليها هذا الكائن بالجسد, وتكون العاصمة القلب والرئتين وتمثل الطرق والأنهار الأوردة الشرايين و مناطق التعدين والإنتاج الزراعي هي بمثابة الأطراف، وهو بهذا يكون قد خطا خطوة في التفكير جعلته يتفوق على راتزل وإن كان يتفق معه في أن الهدف النهائي الذي تسعى الدولة لتحقيقه هو أن تكون دولة قوية يهابها الجميع ويضعونها في الحسبان. وبعد كيلين أول من استخدم مصطلح الجيوبولتيك Geopolitikوالتي عرفها بأنها البيئة الطبيعية للدولة. وإن أهم ما تعني به الدولة هو القوة كما أن حياة الدولة تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان. وقد رأى أن الجغرافيا ينبغي أن تسخر خدمة الدولة وذلك هو الغرض الأسمى للدراسة، وبذلك تتحول الجغرافيا في مجملها إلى جيوبوليتيكا.

الجغرافيا السياسيةPolitical Geography

تعتبر الجغرافيا السياسية فرعاً رئيسياً من فروع الجغرافيا البشرية، وتهتم بدراسة الوحدات

السياسية ومقومات وجودها وتطورها. وتعتمد على عناصر البيئة الجغرافية في تفسير الوحدات السياسية من حيث قوتها واستقراراها او تفككها. كما تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة النظم السياسية Political Systems ، كما أنها تدرس التفاعل بين المنطقة الجغرافية والعملية السياسية وعلاقتها المكانية.

والجغرافيا السياسية تتصل بعلوم أخرى عديدة تتضافر كلها لتحليل القوة الجغرافية (طبيعياً وحضارياً واقتصادياً، وتحديد علاقتها المتشعبة في المكان والزمان، ومن أهم هذه العلوم ما يلي:

التاريخ

للتاريخ أبعاد ثلاثة هي الإنسان والزمان والمكان، وهو يمد الجغرافيا السياسية، التي تتكون من بعدين هما الأرض والإنسان، بما تحتاجه عن مجريات الأحداث التاريخية التي أثرت في تطور الدولة من حيث تقدمها أو تخلفها

ونظرا لاهتمام الجغرافيا السياسية بالخصائص السياسية في الوقت الحاضر، فإن هذه الخصائص لا يمكن فهمها إلا في ضوء الماضي، كما أن السلوك السياسي للدولة والحكومات يتأثر بميراث الماضي. كل هذا ما يقدمه التاريخ المعاونة الجغرافيا السياسية.

علم السياسة

يختص علم السياسة بدراسة كل ما هو متصل بالسلطة أو بحكومات الدول، أي دراسة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين. ويتضمن ذلك دراسة النظم والمذاهب السياسية والمؤسسات السياسية، والحكومات والأحزاب السياسية، والعلاقات الدولية، والقرارات السياسية. وتستمد الجغرافيا السياسية اسمها من الجغرافيا وصفتها من السياسة، ومن ثم فهي على صلة وثيقة بالعلوم السياسية. وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة التفاعل بين الظاهرة السياسية وبين العوامل الجغرافية في مكان ما، أي أن الجغرافيا السياسية تمثل همزة الوصل بين الجغرافيا من ناحية والعلوم السياسية من ناحية أخرى. المركزية، والإقليمية، والإدارة العامة، ووظائف كل منها، كما أنه يتناول الجماعات، والرأي العام، والدساتير ظل العلماء قروناً طويلة يتدارسون ويحللون العلاقات بين المسلك السياسي للجماعة وبين البيئة الطبيعية التي تعيش فيها تلك الجماعات البشرية، لذلك فان الجغرافية السياسية علم مستقل له ميدانه الخاص ومنهجه المتميز لم تظهر الا في وقت حديث نسبياً.

ولد مرت الجغرافية السياسية اثناء تطورها بالمراحل الآتية:

-١- مرحلة العلاقات البيئية وفيها فسر العلماء القدامى السلوك البشري وعلاقته بظاهرات البيئة الطبيعية، فالذكاء والمهارات الفنية والروح كما يفسرها ارسطو طاليس لها علاقة بنوع المناخ السائد. كما اشار الى ضرورة ان الدولة ينبغي ان تكون في حماية قوية بحيث تأمن على نفسها من الغزو الخارجي متخذا من أثينا والتي كانت مدينة مستقلة تقع في حماية الجبال التي تحيط بها من كل جانب مثالاً له كما ينبغي أن نكون قريبة من ميناء بحري يفتح لها أبواب التجارة البحرية

ويمضي الزمن تطورت دراسة البيئة حتى تحولت تدريجيا فيما بعد إلى حتم جغرافي ينسب فيه العلماء كل مظهر من مظاهر السلوك السياسي إلى اثر البيئة الطبيعية.

-2- مرحلة دراسة الوحدات القومية: وفي هذه المرحلة من تطور الجغرافية السياسية في دراسة الأساس الجغرافي للدولة او المجموعة الدول وقد تقدمت هذه الدراسة على بد راتزل

الذي عمل استاذاً للجغرافية بجامعة لايبزك في المانيا. وما كتبه ارسطو طاليس وغيره من العلماء في العلاقة القائمة بين البيئة وبين الدولة كانت كتابات عامة ، أما راتزل ومن جاء بعده قاليهم يرجع الفضل في تطوير هذه العلاقة وفي تصنيف الآثار التي تحدثها البيئة في قوى الدول، وكان راتزل من أنصار الحتم الجغرافي وكان في كتاباته السياسية يهتم بنوع خاص بنمو الدولة، ومن رأيه أن الدولة وحدة حية همها الأول هو أن تصارع صراعا لا نهاية له في سبيل الأرض والتوسع فيها، ومن رأيه أن الدول مثلها مثل الكائنات الحية تخضع لقوانين الانتخاب الطبيعي ولا يبقى منها في النهاية إلا الأصلح للبقاء - ابو بما يعرف (البقاء للاقوى.(

-٣- مرحلة دراسة الاقاليم السياسية فالدراسات التي وضعت في ميدان الجغرافيا السياسية خلال السنوات الأولى من القرن العشرين لم تعن بالسياسة التي تطبقها الوحدات السياسية المختلفة التي يتألف منها العالم بل شرعت بدراسة المشاكل

السياسية الخاصة دراسة جغرافية تفصيلية، وهذا الاتجاه ظهر لدى الكثير من الجغرافيين، فعلى سبيل المثال ظهرت مجموعة من الكتب تعالج الحدود بين الدول كما ساهم الجغرافيون السياسيون بدور هام بما أبدوه من آراء في المناقشات التي دارت في مؤتمر الصلح عقب الحرب العالمية الأولى وكان ذلك بمثابة تطبيق عملي لخبرتهم الجغرافية وتدريب لهم في الشؤون الدولية. وعلى الرغم من كثرة الاختلاف في الاسلوب والاتجاه للجغرافيين السياسيين الا انهم وينفس الوقت يؤكدون على دراسة وتحليل الدولة او الوحدة السياسية Political Unit وتطورها معتمدين كيفية التطور وعوامل التطور للوحدة السياسية. على اساس ودعائم تا تدور في مجال واحد ولكثرة التعاريف والآراء الخاصة بالجغرافية السياسية، نورد بعضا منها:

1-الدكتور نورمان باوندزNorman Pounds

حيث يقول في كتابه الجغرافية السياسية Political Geography أن الجغرافية السياسية هي حقل أو علم يهتم بدراسة الدولة، وأن الدولة عادة توجد لأجل لقيام بدور أو عمل خاص الا وهو حماية ورعاية كيانها وتفكيرها الايديولوجي الذي تتبناه وتتبع فلسفته في حياتها وتطورها. كما انه تعمل الدولة على أن توفر لشعبها ما يصبو اليه من رفاء واستغلال وحرية.

2 Dr. Van Valkenburg:الدكتور فان فالكنبرغ

دولة يرى ان الجغرافية السياسية هي جغرافية الدول أو الوحدات السياسية التي تشتمل على دراسة كل د من دول العالم كوحدة ذات كيان خاص يتسم بمميزات معينة في الانتاج والاستهلاك وفي القدرة على تلبية احتياجات سكانه والمساهمة في نفس الوقت في رخاء العالم

وأمنه، كما تدرس ايضا المقومات المختلفة التي يتوقف عليها تقدم الدولة وقوتها، ونفسر العلاقات القائمة بينها وبين غيرها من الدول على أساس جغرافي.

-3الدكتور عبد المنعم عبد الوهاب

ويعرف الجغرافية السياسية بقوله أنها الحفل الذي يدرس الوحدات السياسية وواقعيتها الجغرافية في العالم من حيث وجودها وتطورها في مضار القوة، وتحليل اسس العلاقات بين تلك الدول ومدى أثرها في ذلك التطور أو البقاء.

المحاضرة الثانية (مقومات نشوء الدولة)

مقومات نشوء الدولة

أن محور الجغرافية السياسية هي الدولة :State - عبارة عن رفعة من الأرض موحدة ومنظمة سياسياً مسكونة من قبل سكان أصليين لها حكومة وطنية ذات سيادة على جميع أطراف الدولة، ولديها القوة الكافية لحماية هذه الدولة.

عرفها فيفلد وبيرسي بأنها الدولة التي تحكم نفسها ولديها كافة حقوق السيادة). كما عرفها هارم دوبليه بأنها (أرض او اقليم طبيعي محدد، وشعب متميز يسكن تلك الأرض، وحكومة او نظام سياسي لهسلطة، ورغم تعدد التعاريف الا انها جميعها متفق بأن الدولة تضم العناصر الأرض - الشعب – النظام السياسي)

وهناك عوامل رئيسية لقيام الدولة، ولا يمكن أن يطلق عليها مصطلح دولة إذا لم تكن مستكملة لهذه جيد الشروط وهذه العوامل هي: ١ رقعة من الأرض محددة بحدود موضحة ومعترف بها، إذ يستحيل قيام دولة لمدة طويلة دون أن يكون لها مكان من الأرض تمارس عليه سيادتها، وتمنع كل قوة أجنبية من التعدي على أراضيها.

-وجود شعب أو سكان أصليين يعيشون على تلك الأرض عيشة دائمة، على أن توجد بينهم روابط قوية تجعل منهم وحدة سياسية متماسكة. هذه الروابط تاريخية أو قومية أو لغوية أو أهداف ومصالح مشتركة.

-التنظيم السياسي والذي بواسطته تمارس الدولة وظيفتها داخل وخارج حدودها السياسية، وهذا التنظيم يكون بواسطة شخص أو أشخاص تكون وظيفتهم الرئيسية رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية.

- خلو الدولة من الالتزامات الخارجية التي لها مساس بسيادتها، حيث أن جوهر الدولة هو الاستقلال الذاتي، وأن السيادة التامة من قبل الحكومة على جميع أطراف البلاد أمر لا بد منه.
- أن يكون لدى الدولة القوة الكافية لحماية الشعب. فعدم وجود مثل تلك القوة التي تساعدها على توفير الأمن يجعل الدولة في حالة عدم استقرار أمام القوى المعارضة لوحدة البلاد من الداخل والخارج.

وقد تتعرض الدول الى الزوال او الانقسام وظهور دول اخرى، وذلك بسبب الحروب، فقد تختفي دولة من الوجود مثل دولة رومانيا، وقد تندمج الدول في اخرى مثل المانيا والتي

ظهرت عام ١٩٩١ بعد اتحاد المانيا الغربية مع المانيا الشرقية، وقد تظهر دول لم تكن موجودة مثل مجموعة الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق وهي جمهوريات اوكرانيا وتركمانستان أوزبكستان ارمينيا جورجيا، روسيا البيضاء (بيلاروسيا)، الشيشان كازاخستان، قرغيزيا. وانضمت هذه الدول إلى عضوية الأمم المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، هذا فضلاً عن دويلات البلطيق الثلاث وهي أستوينا، لاتفيا، ولتوانيا) والتي سبق أن استقلت قبل استقلال هذه الجمهوريات، كيا تكونت الآن جمهورية روسيا الاتحادية من فلول الاتحاد السوفيتي أما الدول التي اختفت ولم يعد لها وجود فهي الدولة الرومانية الدولة العثمانية، إمبراطورية النمسا، إمبراطورية المجر، الكومنولث البريطاني، الاتحاد الفرنسي، إمبراطورية غانا، الإمبراطورية الهندية.

مراحل نشأة الدولة وأطوارها

لاحظ فالكنبرج Valhenberg أن الدول تمر في نشأتها ونموها بعدة مراحل أو أطوار تشبه المراحل التي تمر بها الأنهار في تطورها، أو الأطوار التي يمر بها الإنسان خلال دورة الحياة، فالدولة تبدأ بطور النشأة، ثم تنتقل إلى طور الشباب، ثم إلى مرحلة النضج، ثم تنتهي بمرحلة الشيخوخة أو الهرم، بحيث تتميز كل مرحلة بمجموعة من الخصائص تميزها عن المراحل الأخرى، وهذه المراحل هي:

أ- مرحلة النمو:

حيث نتجه الدول في هذه المرحلة إلى نمو البناء الداخلي وتنظيم شئونها الداخلية، وتنمية مواردها المحلية، وربط أجزائها البشرية بعضها ببعض. والدولة هنا تلتزم سياسة الدفاع ولا تفكر في التوسع الخارجي، وقد تضطر إلى الهجوم لحماية نفسها أو لاستعادة أرض مغتصبة، وتميل الدولة في هذه المرحلة إلى حل مشكلاتها مع الدول الأخرى بالطرق السلمية. ومن أمثلة الدول التي تمر بهذه المرحلة الدول العربية، وجمهوريات أمريكا اللاتينية، والدول الأفريقية الحديثة الاستقلال - أي الدول النامية بوجه عام.

ب - مرحلة الشباب:

تصل إليها الدولة بعد أن تنتهي من البناء الداخلي وترسيخ وحدتها الإقليمية وتوفير استقرارها ورخائها الاقتصادي باستغلال مواردها، وبذلك تكون قد استكملت أسباب نموها وقوتها. وقد يصبح للدولة

فائض من هذه القوة يمكن أن توجهه إلى العدوان والتوسع فتظهر فكرة الاستعمار وتكوين امبراطورية لها

فيها وراء البحار. وقد مرت كل من ألمانيا وإيطاليا بهذه المرحلة بعد الوحدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومرت اليابان بهذه المرحلة في الثلث الأول من القرن العشرين. وهي الدولة التي كانت بمسلكها العدواني سبباً في إشعال الحرب العالمية الثانية. ولهذا تعتبر هذه المرحلة أخطر مراحل نمو الدولة. فهي عدوانية مثل مرحلة المراهقة و الشباب عند الإنسان.

ج- مرحلة النضج والاستقرار

وتبدأ بعد وصول الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية، فتحتاج إلى فترة هدوء واستقرار تتيح لها الفرصة لكي تجني ثمارها واستغلالها والدفاع عنها. لذا تميل الدولة في هذه المرحلة إلى المسالمة، وحل المشكلات بالطرق الدبلوماسية الهادئة، وقد تقدم بعض التنازلات في سبيل ذلك. ومع ذلك فإن الدولة في هذه المرحلة لا تتردد في إشعال الحرب إذا أحست بخطر يهددها أو يهدد ممتلكاتها، وقد كانت دول الحلفاء وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، قبل الحرب العالمية الثانية أمثلة هذا الطور من النمو.

د. مرحلة الشيخوخة

فبعد أن تصل الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية، أو الاستقرار قد يحدث أن تضعف قوتها وتأخذ في الانحلال والاضمحلال نتيجة لعوامل خارجية أو داخلية، وفي هذه المرحلة تصبح الدولة عاجزة عن الاحتفاظ بإمبراطوريتها، بل التي وصلت إليها في مرحلة الشباب، وبالتالي تصبح عرضه لمطامع الغير. مثال ذلك إمبراطورية النمسا، والإمبراطورية العثمانية الرجل المريض The Sick Manفي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وانتهت هذه المرحلة بسقوطها في الحرب العالمية الأولى.

ولا تزال كل من الامبراطورية البريطانية والفرنسية تمر بهذه المرحلة، ولكن دورة نمو الدولة كما يرى فالكنبرج قد لا تكتمل حتى نهايتها، فقد تنقطع عند مرحلة الشباب كما حدث لألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، وقد تبلغ مرحلة النضج أو الشيخوخة ثم تنقلب مرة اخرى الى مرحلة الشباب فيتجدد نشاطها وتستعيد نزعتها الى العدوان.

اذ تتوقف كل مرحلة من المراحل السابقة على مدى التجانس او التنافر بين عوامل بناءها الداخلي اي بين القوى الجانبية والنابذة لها).

يمكن تقسيم الدول إلى فئات متميزة من حيث إمكانيتها من القوة

تصنف الدول Classification of States الى عدة تصنيفات : كان يجري تصنيف دول العالم إلى ثلاث مجموعات هي: دول العالم الأول: وتشمل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة وهي دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، ودول العالم الثاني: وتشمل دول الكتلة الشرقية وعلى رأسها روسيا ودول شرق أوروبا، ودول العالم الثالث: أي الدول النامية. أما إذا أخذنا بتقسيم جان لوك Jean Luc فهو يقسم الدول إلى أربع فئات: قوي كبري ومتوسطة وصغيرة وقزمية، وهذه الأخيرة تقسم إلى درجة أولى ودرجة ثانية. والمؤشران الرئيسيان اللذان يستخدمها لوك لتحديد حجم الدولة هما: السكان والناتج المحلي الإجمالي، ثم يضاف لهما منحي لوغارتمي تبعاً لانتماءات هذه الدول إلى المنظمات الدولية، وهذا التقسيم الذي وضعه لوك للدول كالاتي:

-1الدول الكبرى وهي تلك الدول التي تحتل المراتب العليا على الأقل بالنسبة لثلاثة من المؤشرات التالية: السكان (١٠٠) مليون نسمة أو أكثر، الناتج المحلي الإجمالي (٢٥ ألف مليون دولار أو أكثر)، وتتمتع هذه الدول بأوضاع سياسية خاصة حق النقض الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة)، ويصل حجم القوة العسكرية (٣٠٠ ألف جندي أو أكثر)

2الدول المتوسطة: وهي تلك الدول التي يكون لها على الأقل مؤشر واحد من الاثنين السكان والناتج المحلي الإجمالي) موجوداً في الثلث الأعلى من المنحنى اللوغارتمي الخاص به؛ أي لا يقل عدد سكانها عن ٥٠ مليون نسمة. كما لا يقل الناتج المحلي الإجمالي عن ١٠ آلاف مليون دولاراً.

-3الدول الصغيرة وهي تلك الدول التي يكون لها على الأقل مؤشر واحد في النصف الأعلى من النموذج اللوغارتمي، حيث لا يقل عدد سكانها عن (١٠) مليون نسمة، كما يبلغ ناتجها المحلي الإجمالي ٢٠٠٠ مليون دولار أو أكثر.

-4الدول القزمية: وهي تصنف إلى فئتين دول قزمية من الدرجة الأولى وهي التي يبلغ عدد سكانها ٥ مليون نسمة أو أكثر ويصل ناتجها المحلي الإجمالي ١٠٠٠ مليون دولار على الأقل. أما الفئة الثانية من الدول القزمية فتقع دون الدرجة الأولى في المؤشرين كليهما.

ويوجد تصنيف آخر يقسم الدول إلى مجموعة دول متقاربة في النضج كالدول الناشئة والدول الشابة والدول الناضجة والدول الهرمة. ويكاد يتلاءم هذا التصنيف مع نظرة راتزل إلى حيوية

الدولة واعتبارها كائناً حياً يولد وينمو ويكبر وقد يندثر ويموت. ويقسم هذا التصنيف الدول إلى المجموعات التالية:

1دول ناشئة لا تسعي للتوسع الخارجي وتلتزم سياسة دفاعية، ونهتم بتنظيم شؤونها المحلية وتنمية مواردها، كالدول العربية وجمهوريات أمريكا اللاتينية.

ب - دول شابة انتهت من تحقيق استقرارها الداخلي السياسي والاقتصادي، وتسعى إلى تحقيق طموحاتها عبر الحدود. تماما كما كانت حال ألمانيا وإيطاليا في أواخر القرن التاسع عشر، وكما كانت حال اليابان في ثلاثينيات القرن العشرين. وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل نمو الدول وتطورها.

ت- دولة ناضجة حققت توسعاً إقليمياً وتحتاج إلى استقرار أمني وسياسي بغية استغلال مواردها والدفاع عنها اللغت الصين هذه المرحلة في أواخر القرن التاسع عشر، وبلغتها دول الحلفاء قبيل الحرب العالمية الثانية.

ث- دول هرمة تمر في حالة ضعف وتراجع الأسباب داخلية أو خارجية، وتصبح عاجزة عن الاحتفاظ الإمبراطورية النمساوية المجرية والإمبراطوريتان الفرنسية بإمبراطوريتها وممتلكاتها. هذا ما مرت بها والبريطانية بعد الحرب العالمية الثانية

إن هذا التصنيف ليس جامداً وثابتاً، فقد تبلغ دولة ما مرحلة النضج أو الكهولة ثم تعود إلى مرحلة الشباب فتجدد قوتها نتيجة عوامل خارجية طارئة. كما أن طول : كل مرحلة من . مراحل نمو الدولة يتوقف على مدى توافر عوامل القوة.

وهناك معيار آخر للتصنيف بين الدول يقوم على أساس نظام الحكم السائد، هل هو نظام جمهوري أم ملكي أم إمبراطوري ؟ غير أن هذا لتصنيف غير ثابت وغير دقيق، فهناك أشكال عدة من الملكيات المطلقة والدستورية، كما أن هذه المجموعة قد تضم الإمارات والسلطنات والمشيخات، وهناك أشكال مختلفة في النظم الجمهورية كالرئاسية والبرلمانية والمجلسية.

وهناك تصنيف يقسم الدول حسب قوتها السياسية وتأثيرها في المجتمع الدوني والمحيط العالمي ويمكن تصنيف الدول من حيث القوة السياسية إلى الفئات الآنية:

١ دول ينحصر نفوذها السياسي داخل حدودها السياسية ويدخل تحت هذه الفئة معظم دول العالم ويمكن أن توصف بأن نفوذها محلي مثل : فنزويلا، رومانيا، سوريا، النيجر.

2دول يتسع نفوذها السياسي ليشمل إقليماً بعينه، ومن أمثلة هذه الدول: جمهورية مصر العربية فتأثيرها السياسي يشمل الوطن العربي كله.

3-دول يتسع نفوذها السياسي فيشمل العالم كله، وكانت هذه الفئة تضم دولتين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلا أنها حاليا لا تضم سوى الدولة الأولى وذلك بعد انهيار الدولة الثانية عام ١٩٩١م.

وفي الحقيقة أن تصنيف الدول على أساس القوة فقد تعرض للنقد؛ لأن عوامل القوة متعددة ومتبدلة، فمنذ بداية القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الثانية كانت هناك ثماني دول رئيسية في العالم: فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، روسيا، النمساء المجر، الولايات المتحدة، إيطاليا، واليابان وبعدها تتوالى الدول الثانوية في القوة مثل : إسبانيا، الصين، هولندا، تركيا، أستراليا الأرجنتين، بولندا، البرازيل، ويوغسلافيا. لكن الحرب العالمية الثانية غيرت هذا التصنيف فقدمت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق إلى قمة النظام العالمي وتراجعت فرنسا وبريطانيا وسقطت ألمانيا واليابان وها هي ألمانيا تعود في نهايات القرن العشرين إلى احتلال أسباب القوة ، وكذلك اليابان، كما تحاول الصين أن تبني لها مركزاً دولياً مميزاً ، وسعت المجموعة الأوروبية إلى تكريس اتحادها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في سنة ١٩٩١ م ، حيث ظهر إلى الوجود الاتحاد الأوروبي عام ١٩٩٢م، في الوقت الذي تحاول الولايات المتحدة تثبيت موقعها الأول في ، لها ما أرادت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

المحاضرة الثالثة (مقومات بناء قوة الدولة)

يوجد في عالمنا اليوم أكثر من ٢٣٢ دولة، لكن هذه الدول تختلف في درجة قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية، كما تختلف أوزان هذه الدول من حيث الموارد والمساحة وعدد السكان، مع ذلك فان هذه الدول متساوية كلها من حيث مشروعية وجودها امام القانون الدولي، وهي متساوية في الحقوق والواجبات برغم اختلاف مراتبها في القوة

ومن البديهي أن تختلف الدول فيما بينها في كل عنصر من العناصر المكونة لهذه الاسس الطبيعية والبشرية، فبعض الدول عملاقة المساحة والآخر قزمي، كذلك هناك دولاً غنية في مواردها الاقتصادية ولها القدرة على استغلال هذه الموارد، وأخرى تعاني نقص واضح في هذه الموارد ولا تملك الامكانيات في استغلالها مما انعكس على اقتصادها فأضحى متواضعاً وتدني مستوى المعيشة لسكانها. وفيما يأتي تفصيل لهذه الاسس:

الاسس والمقومات الطبيعية للدولة وهذه الأسس تتمثل بما يأتي:

Location 1الموقع

لم يعد موقع للدولة مجرد أبعاد فلكية بين خطوط الطول ودوائر العرض زما يعكسه من انماط مناخية الدولة مناخاً أو حياة نباتية خاصة، بل أصبح الموقع أيضا من مواردها الطبيعية القابلة للاستثمار فكان للموقع الجغرافي أبعاده الاقتصادية أيضاً.

ولكل مكان أكثر من موقع، فهناك الموقع الفكي والموقع البحري أو القاري ثم الموقع النسبي، ولكل مكان في العالم توجد صفة هذه المواقع مجتمعة.

-1- الموقع الفلكي

وهو يحدد موقع الدولة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، وإذا كانت خطوط الطول أقل أهمية من خطوط العرض فيما يتعلق بثروة الأمم من حيث النشاط الاقتصادي ولا سيما الزراعة؛ لأن امتداد رقعة الدولة على عدد كبير من دوائر العرض، يعني تعدداً في الأقاليم المناخية ويؤثر ذلك بدوره على غنى الدولة بالحياة النباتية الغابات والحشائش والحياة الزراعية أيضاً.

كذلك فان خطوط الطول أكثر أهمية من مجرد اختلاف التوقيت بين كل خط وآخر بأربعة دقائق، لأن تعدد خطوط الطول في الدولة يعني بصورة أخرى امتداداً مكانياً أكبر، ينعكس بحد ذاته على غنى الدولة في مصادر الثروة المعدنية. كما أن وجود دولة في منطقة معتدلة المناخ وتمتد طولياً على رقعة كبيرة قد يكفل لها إنتاجاً زراعياً وفيرا أيضا.

وإذا كانت مراكز القوة الدولية في عالم اليوم ترتبط بالمنطقة المعتدلة الباردة وإلى حد ما بالمنطقة المعتدلة الدفيئة، فإن مراكز القوة في العالم كانت في الماضي أكثر ارتباطاً بالمناخات الدفيئة والمدارية، ومن الامثلة على ذلك ارتباط حضارات العالم القديمة بأودية الأنهار في كل من مصر والعراق والهند والصين، يبين لنا أن الإنسان كان في حاجة إلى بيئة توفر له كلا من الحماية الطبيعية التي تقترن بالعزلة النسبية والمناخ الذي يكفل قدراً أكبر من الدفء ؛ لأن حيلة الإنسان لم تكن قد تقدمت بعد ولم يكن قد تقدم في مجال التكنولوجيا مما يكفل له التحرر النسبي من المناخ، وقد وفرت له البيئات السابق ذكرها في مصر والعراق والهند والصين مناخاً رطباً طيباً طول العام، بالإضافة إلى أن الصحاري قدمت سياجاً طبيعياً يحمي الحضارات الوليدة.

الموقع بالنسبة لليابس والماء:

وهو يتعلق بقارية الدول أو ببحريتها، والدولة البحرية هي التي يوجد لها اتصال مباشر بالبحر. أما الدول القارية فهي التي لا توجد لها منافذ تؤدي إلى البحر. والدول البحرية بعضها جزري لا يشترك في حدود برية مع جيرانها و لكنها دول بحرية من الطراز الأول؛ لأن البحار تحيط بها ويكون ذلك عنصراً رئيسياً من عناصر اهتمامها بالبحر مثل بريطانيا واليابان وإندونيسيا والفلبين، وبعضها يطل على بحر واحد مثل نيجيريا التي تطل على خليج غينيا ، والبرازيل التي تطل على المحيط الأطلنطي، والبعض الآخر يطل على بحرين مثل مصر التي تعمل على البحر الأحمر من الشرق والبحر المتوسط من الشمال، والبعض الآخر تطل على ثلاث بحار مثل الهند التي تطل على المحيط الهندي من الجنوب والبحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق. كذلك تختلف أهمية الدول البحرية بعضها عن بعض فمثلا لا يمكن مقارنة الموقع البحري لروسيا

الاتحادية مع الولايات المتحدة، فروسيا الاتحادية تطل من الشمال على محيط متجمد هو المحيط القطبي الشمالي ونافذة ضيقة تطل على البحر البلطي وهو أيضاً متجمد في فصل الشتاء، وبذلك فإن منفذها الرئيسي هو المحيط الهادي، وإن كان هذا المحيط أكبر محيطات العالم إلا أنه لا يسهم في التجارة العالمية إلا بنحو ١٥%. ومن ثم كانت سياسة الاتحاد السوفيتي التقليدية تتمثل في البحث عن منفذ على البحار الدفيئة، وبهذا يمكن اعتبار الاتحاد السوفيتي السابق قوة برية Continental أكثر مما هي بحرية.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فتطل على أعظم محيطات العالم من الناحية الملاحية وهو المحيط الأطلنطي من الشرق والذي يستأثر بنحو ثلثي التجارة العالمية، ويزيد من أهمية هذا المحيط وقوع دول أوروبا الغربية عليه، بالإضافة إلى الولايات المتحدة وكندا، كما تطل الولايات المتحدة على المحيط الهادي من الغرب وخليج المكسيك من الجنوب.

وتتحكم بعض الدول في المضايق البحرية بحيث يصبح المرور عبرها تحت رحمتها فبريطانيا تستطيع في أوقات الحرب أن تغلق بحر المانش من خلال أسطولها الحربي بمضيق دوفر، كما أن لها جبهة بحرية طولية على بحر الشمال. وتستطيع بريطانيا أيضا أن تتحكم في حركة المرور في مضيق جبل طارق، والتي مازالت تسيطر عليه. وتستطيع تركيا التحكم في مضيقي البوسفور والدردنيل، وتستطيع مصر التحكم في قناة السويس، وتستطيع بنما التحكم في قناة بنما التي تخترق أراضيها لتصل بين المحيطين الأطلنطي والهادي.

ولا تقتصر قيمة الموقع الجغرافي البحري على الناحية الاستراتيجية، حيث نجد أن بعض الدول ذات الموقع البحري يؤدي البحر أهمية في حياة سكانها ومواردها مثل الترويج التي تعتمد على الثروة السمكية من بحر الشمال، واليابان التي يعتمد جزء كبير من غذاء سكانها على صيد البحر من خلال مصايد المحيط الهادي.

وتشتق الجبهة البحرية أهميتها من أهمية ظهيرها Hinterland فجبهة يوغسلافيا على البحر الأدرياتي قليلة الأهمية؛ لأن ساحل دالماشيا صخري جاف تنتشر به صخور الكارست الجيرية. كما أن أهم الجزر الساحلية التي قامت عليها الموانئ على البحر الأدرياتي إيطالية وليست يوغسلافية، كذلك من الامثلة السواحل الصحراوية في ليبيا وتونس والجزائر على البحر المتوسط، والسواحل المصرية على البحر الأحمر أقل أهمية من السواحل الغنية الخصبة المطلة على دلتا النيل. والدول البرية هي الدول التي تقع كلها في مناطق قارية دون أن تكون لها سواحل، أو تطل على بحار وتسمى في هذه الحالة بالدول الداخلية أو الحبيسة Lockland States، ويبلغ عدد الدول الحبيسة في العالم ٣٩ دولة، وهذه الدول موزعة على أربع من قارات العالم وهي موزعة على النحو التالي:

في اوربا (١٠) دول حبيسة وهي جمهورية التشيك الدورا، جمهورية سلوفاكيا، النمساء المجر سويسرا، لوكسمبورج، ليختنشتاين، ومقدونيا، ومولدوفا). وفي آسيا (١٢) دولة حبيسة وهي أفغانستان، نيبال لاوس منغوليا بوتان طاجكستان كازاخستان، تركمانستان، آذربيجان قيرغيزستان، أوزبكستان، وأرمينيا)

وفي أمريكا الجنوبية دولتين حبيسه هما (بوليفيا و باراجواي)

أما في أفريقيا فيوجد بها (١٥) دولة حبيسة، أكثر من نصف عدد الدول الحبيسة تقريبا في العالم. وهي مالي النيجر، بوركينا فاسو تشاد أفريقيا الوسطى، أوغندا، زامبيا زيمبابوي، ملاوي، بتوانا سوازيلاند، ليسوتو، رواندا، بورندي، وأثيوبيا)

ويرجع السبب في كثرة الدول الحبيسة في أفريقيا إلى قلة تعاريج السواحل والتمزق السياسي الشديد الذي عانته قارة أفريقيا، وتعاني الدول الحبيسة أو الداخلية بوجه عام من كثير من المشكلات الاقتصادية، لعل أهمها تحكم الدول الساحلية في مصيرها، بل إنها أحيانا تقع تحت رحمتها وخاصة بالنسبة للتجارة والنقل وعلاقتها مع الدول الخارجية، وقد تسعى الدول الداخلية إلى إقامة اتحاد جمركي واتحاد سياسي أو الوصول إلى البحر عن طريق ممرات من أرض الدول الساحلية، ولا يلجأ الإنسان إلى البحر إلا إذا ضاق عليه البر، ولم يمنحه الموارد التي يحتاج إليها، فمثلاً سكان الترويج يولون وجهوهم نحو البحر ويعطون ظهورهم للبر، وسكان كثير من أجزاء بريطانيا يحذون حذوهم، ولكن على العكس نجد أن عامل البر يتغلب في فرنسا رغم أن جبهاتها البحرية متعددة و ممتازة ، لأن البر أكثر جاذبية والتوجيه الجغرافي لفرنسا توجه بري.

Size 2الحجم

لاشك أن الحجم أو المساحة التي تشغلها الدولة وعدد سكانها في أثر كبير في القيمة السياسية للدولة فالمساحة هي الحيز المادي للأرض التي تقوم عليها الدولة وعدد السكان أو هو الحيز البشري للمواطنين الذين ينتمون إلى الدولة ليعيشوا فيها ويحسوا بالانتماء إليها ويعملوا من أجلها في سبيل نهضتها ورفعتها ويدافعوا عنها ضد كل من يريد أن ينتقص من مساحتها أو يمس سيادتهم على ترابها.

والحجم عامل مهم جدا في قوة الدولة، فكم من دولة صغيرة الحجم مساحياً وسكانيا حققت تقدماً اقتصادياً واجتماعياً، ولكن نظراً لضالة الحجم لم تتمكن هذه الدول من الوصول إلى مصاف الدول العظمي. ومن أمثلة هذه الدول سويسرا والتي احتلت موقع جغرافياً ممتازاً و استفادت من الحماية الطبيعية في سطحها الجبلي وتفوقها على كل أوروبا ارتفاعاً. ولكن ضالة حجم سويسرا مساحياً وسكانياً حالت دون تنميتها لهذه القوة وخروجها إلى أوروبا كدولة قوية، وينطبق نفس الكلام على هولندا التي توسعت وأقامت امبراطورية كبيرة، ولكنها لم تتمكن في الحقيقة من المحافظة عليها لصغر حجها المساحي والسكاني وليس الحجم أو الحيز المساحي هو المحصلة النهائية في قوة أو ضعف الدولة فقد تكون الدولة ذات مساحة شاسعة لكنها تكون من الصحاري الجرداء غير المهولة بالسكان، وغير القابلة للاستصلاح أو قد تنتشر بها الغابات الكثيفة ذات المستنقعات الكبيرة، أو تغطيها الغطاءات الجليدية الواسعة، أو تنتشر بها السلاسل الجبلية، ومن أمثلة هذه الدول المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا وموريتانيا والتي تنتشر بها المناطق الصحراوية و كندا التي تدخل معظم مساحتها في اقليم الغابات الصنوبرية الباردة والمنطقة المتجمدة، واستراليا لانتشار الغابات الموسمية في الشمال، والصحاري الحارة في الغرب، والبرازيل حيث تحتل الغابات الاستوائية الكثيفة مساحات كبيرة من أراضيها، ويمكن أن تقسم دول العالم من حيث أحجامها إلى الأقسام الآتية:

(1)دول علاقة وهي التي تزيد مساحتها عن ٦ مليون كم ومن أمثلتها الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية والصين وكندا والبرازيل وأستراليا.

(2)دول ضخمة تتراوح مساحتها بين ٢.٥ مليون كم من أمثلتها الهند والأرجنتين والسودان والجزائر.

(٣) دول كبيرة جدا تتراوح مساحتها بين ١.٢٥ مليون إلى أقل من ٢.٥ مليون كم من أمثلتها المملكة العربية السعودية وليبيا ومنغوليا وكازاخستان والمكسيك.

المحاضرة الرابعة (الاسس الطبيعية للدولة)

شكل الدولة

شكل الدولة هو نتاج موقعها ومساحتها وما يحيط بها من محددات سواء طبيعية أو بشرية كانت عاملاً مهما في تحديد حدودها وابراز شكلها، وينتج عن اختلاف الموقع والمساحة و تنوع كبير في أشكال دول العالم، فلكل دولة تقريباً شكلها الخاص والمميز، وبعد تماسك واتصال أجزاء الدولة وظهورها ككتلة واحدة من مميزات قوتها، فكلما كانت ملتئمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة للمساحة. ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائري من أفضل الأشكال، حيث يعد شكلاً مثالياً وخاصة إذا كانت عاصمة الدولة تمثل مركز هذه الدائرة، ويمكن معرفة الانحراف عن هذا الشكل المثالي عن طريق عمل نسبة البعد للحدود الحقيقية عن محيط هذه الدائرة. فكلما كان الرقم صغيرا كانت الدولة أقرب إلى الشكل المثالي، وكلما كان كبيرا كلما بعدت عن هذا الشكل المثالي.

فعلى سبيل المثال رومانيا وسويسرا والمجر كلها أشكال أقرب إلى المثالية، بينما شيلي مثالاً للدول ذات الامتداد الشريطي الكبير، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب المسافة (٢٦٠٠) ميل في حين أن عرضها قد لا يتجاوز ١٠٠ ميل) فإذا أضفنا إلى هذا وجود جبال الانديز التي تزيد المواصلات تعقيداً وصعوبة، أدركنا أن مشكلة الدفاع في مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان، مما أدي إلى قيام مشكلات سياسية بين شيلي وجارتها الارجنتين

كذلك الحال في الترويج التي أمكن للألمان شل حركتها بالاستيلاء على المدن والموانئ الساحلية التي تتحكم في طرق المواصلات مع الداخل. كما تظهر بعض الدول غير مثالية الشكل حين يظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية مثل ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية حين كان يشطرها الممر البولندي، أو باكستان التي يفصل شطريها باكستان الشرقية وباكستان الغربية عن بعضها مسافة (١٠٠٠) ميل.

أما الدول ذات الشكل الدائري أو الأقرب إلى الاستدارة فمن أمثلتها فرنسا وإسبانيا، وهذا يعد من مزايا المركزية و يسهل الاتصال بين المركز والهوامش من خلال العرض السابق يمكننا أن نقسم الدول حسب الشكل على النحو ١ دولة مندمجة :Compact تتخذ شكلاً هندسياً مربعاً أو معيناً أو دائري مثل فرنسا، سويسرا، المجر، باراجواي النمسا ورومانيا.

ب دولة شريطية مستطيلة : تتخذ شكلا طويلاً مثل الترويج أو مفرطاً في الطول مثل شيلي إذا يبلغ طولها ٢٦٠٠ ميل، فمن خلال هذا الشكل تنشأ صعوبات في الاتصال ومشاكل أمنية داخل الدولة الشريطية. ولكن إذا ما توافر نظام سياسي قادر ومستقر يمكن أن يعالج مشكلة الشكل المستطيل كما جرى في شيلي خلال مراحل طويلة من الزمن.

ج دول متقطعة ممزقة : توجد وحدات فرعية منفصلة عن الوحدة الرئيسية كالدول الجزرية أو ما تعرف بالدول الأرخبيلية (مجموعة جزر كالفليبين، وإندونيسيا واليابان يؤثر هذا الشكل في كيفية تنظيم الشؤون الإدارية والسياسية والاقتصادية داخل الوحدات الفرعية.

د. دول منكسرة تقوم إذا وجد جزء أو أكثر، في حالة انفصال جغرافي عن كتلة الدولة السياسية، هذا ما كان في باكستان قبل استقلال بنجلاديش، والواضح أن الدول الفاصلة يمكن أن تهدد أمن الدولة المنكسر كما هو حال الهند بالنسبة الباكستان في شكلها القديم المنكسر.

وهناك علاقة وثيقة بين شكل الدولة وموقع العاصمة، فإذا كان هذا الموقع في المنتصف فيكون موضعا أفضل ويحول دون سقوط العاصمة في يد الأعداء، حيث إن سقوط العاصمة يعنى سقوط الدولة والانهيار النظامها، ويمثل هذه الحالة الرياض وباريس ومدريد ولعل مدينة القاهرة عاصمة مصر العربية من أكثر عواصم العالم تحقيقاً لميزة التوسط لأنها على الرغم من الناحية الطوبوغرافية لتوسط المعمور المصري

وتتحكم في الاتصال بين الوادي والدلنا، كما أن سكان كل من الوادي والدلتا متعالان تقريباً. أما إذا كان موقع العاصمة متطرفاً ويقع قرب الحدود فإن هذا يمثل خطراً على الدولة، وتكون العاصمة مستهدفة دائما من قبل الأعداء ويمثل نقطة ضعاف للدولة، ومن أمثلة هذه العواصم إنجامينا عاصمة تشاد التي تقع على حدودها الغربية بالقرب من بحيرة تشاد.

وقد تقوم بعض الحكومات بنقل عواصمها المتطرفة للاتجاه نحو المركزية مثل نيجيريا والتي قامت بنقل عاصمتها من الأجوس في الجنوب على المحيط الأطلنطي إلى أبوجا في الوسط، وكذلك الحال في روسيا الاتحادية والتي قامت بنقل العاصمة الروسية من سان بطرسبرج

لينتجراد المتطرفة إلى موسكو، والتي تتوسط مركز الثقل السياسي في الدولة نوعا ما، أما عاصمة الولايات المتحدة واشنطن فإنها متطرفة إلى الشرق من جسم الولايات المتحدة، ولكن اختيارها كعاصمة برتبط بالنمو التاريخي للولايات المتحدة ولأجل تعميرها بالسكان.

ومن هنا يمكن إيجاد شبه كبير بين العاصمة الأمريكية والعواصم المفروضة التي أقامتها القوى الاستعمارية على طول ساحل غرب أفريقيا، فبالنظر إلى أن الاستعمار الأوروبي كان يسير بحذو السواحل فلت اختار مناطق ارتكازه التي أصبحت عواصم على مسافة من الساحل ومن الأمثلة عواصم كل من نيجيريا والسنغال وتوجو وجامبيا تقع كلها بلا استثناء على الساحل كاثر تاريخي لهذه الرحلة من الاستعمار.

المناخ والنبات:

تختلف الظروف المناخية اختلافاً واسعاً فوق سطح الأرض، اذ ان عنصرا الحرارة والمطر بعدان من أكثر العناصر المناخية ارتباطا بحياة الإنسان ونشاطه الاقتصادي، وقد جذبت الاختلافات المناخية الانتباه منذ زمن بعيد وظهرت كواحدة من الأسباب المهمة وراء اختلاف المجتمعات من منطقة مناخية لأخرى. بل أن تفاوت الظروف المناخية قد أدى إلى اختلاف حركة المجتمعات الإنسانية نحو التطور والتقدم وارتبطت أقدم المجتمعات السياسية في العالم بالنظم المناخية الأكثر اعتدالا، ليس فقط بما هيأته هذه النظم من حرارة معتدلة الممارسة النشاط الاقتصادي ومن كمية من الأمطار كافية لقيام الزراعة، بل وأيضا فيما دعت إليه من استقرار ومن زيادة العلاقة بين الإنسان والأرض

ويؤكد هذه العلاقة جوتمانGottnaftn ، من خلال فكرة أو نظرية هجرة المناخ من منطقة الشرق الأدنى والمناطق التي قامت بها الحضارات القديمة في مصر و بابل ومواطن الحضارات اليونانية والرومانية، وكيف أن هناك من يعتقد أن الظروف المناخية قد طرأت عليها تغييرات أساسية في هذه المناطق، وقد انتقلت ظروف المناخ المثالية والمشجعة على العمل والتقدم من هذه البلاد على مدى عشرات القرون حتى استقر بها المقام حاليا في العروض المعتدلة الدفيئة والمعتدلة الباردة. وأن مناخ منطقة الشرق الأدنى ومواطن الحضارات اليونانية والرومانية قد ساءت أحوالها المناخية وتحولت إلى الجفاف النسبي

والارتفاع النسبي في درجة الحرارة وهذه نظرية بصعب إثباتها ولكن لها رجاحتها في أن المناخ الموجود في هذه البلاد حاليا مختلف عما كان عليه وقت نهضتها الحضارية، وبذلك فإن أنسب الظروف المناخية وأكثرها ملائمة لحياة الإنسان في المناخات المعتدلة الباردة والمعتدلة الدفيئة في نصف الكرة الشمالي والجنوبي. وبما أن النصف الجنوبي للكرة الأرضية تشغل أكثره المحيطات فإن نصف الكرة الشمالي يسمى إقليم الوفرة والنشاط الاقتصادي، نظراً لأنه توافرت فيه كل المقومات الدافعة إلى النشاط والعمل، فضلا عن وجود المعادن اللازمة للصناعة والتربة الصالحة للزراعة والظروف المناخية الملائمة لحياة الناس واستقرارهم

واستطاع الإنسان في العصر الحديث من خلال وسائل التقدم الفني أن يتغلب على عوائق البيئة الطبيعية فجذور الحضارة الغربية تمتد في الأصل الى الحضارة اليونانية والرومانية تبعاً للمناخ لكنها تطورت الى اراضي العالم الجديد حيث توافر العوامل التي ساعدت على التقدم من مناخ وعوامل جغرافية متنوعة وهذا ما يشهده العالم

اليوم بأن الغرب هو المسيطر، وحتى في حملات الاستعمار سواء في المناطق ذات المناخات المدارية الرطبة أو الصحراوية والاصقاع الشمالية او الاقاليم الرطبة في العروض الوسطى هي كانت في الاساس انهم سيطروا وفدوا لهذه المناطق لغرض الاستغلال وليس للاستيطان. وقد انعكست صفة المناخ على النبات الطبيعي وعلى المحاصيل الزراعية وإنتاج الغذاء للسكان من الأولويات التي تهتم بها الدولة والدولة التي تتمتع بتنوع مناخي تتمتع بتنوع غذائي، وبالتالي ترتفع إنتاجية أفرادها، بينما المناطق التي يسودها مناخ واحد يقل معه التنوع الزراعي وبالتالي يقل فيها الإنتاج الزراعي، والدولة التي لا تنتج ما يكفيها من غذاء لابد لها من الاستيراد من الخارج أو اتباع الزراعة الكثيفة أي زراعة الأرض أكثر من مرة، وهذا غير ممكن لأنه سيؤدي الى تدهور في خصوبة الارض وبالتالي تصبح غير قادرة على الانتاج حتى لو كان المناخ ملائم. فنجد الدول المتسعة المساحة كالولايات المتحدة مثلا حيث تتعدد الأقاليم المناخية وتتنوع فتتنوع فيها الانتاج الزراعي.

كذلك يؤدي تنوع المناخ إلى تنوع النباتات الطبيعية التي تتراوح بين الغابات بأنواعها الحارة (الاستوائية) والمعتدلة (البحر المتوسط) والباردة (النفضية والصنوبرية) ومن الحشائش بأنواعها المختلفة الحارة (السافانا) والمعتدلة (الاستبس) والباردة (التندرا)

مظاهر السطح

ونعني بها جميع مظاهر السطح من جبال وهضاب وتلال وسهول ... الخ، وهي ذات أهمية عظمى للتركيب السياسي الجغرافي للدولة. فسكان الجبال يميلون نحو العزلة والحصول على نوع من الاستقلال كما هو حال أفغانستان وأندورا، بينما سكان السهول مثل الأوكرانيين قد يتعرضون للتدخل خارجي نتيجة كون ارضهم سهلية فتكون فرصتهم قليلة للحكم الذاتي، كما أن وجود سلاسل جبلية على حدود الدولة يمكن أن يساعد على الدفاع ضد الهجمات الخارجية من جيرانها، فجبال البرانس بين فرنسا وإسبانيا، وجبال الألب بين إيطاليا والنمسا هي أمثلة من هذا النوع التي أدت دورا في النزاع العسكري بين الدول المجاورة.

وقد تلجأ بعض جماعات الفدائيين إلى المناطق الجبلية كما حدث في يوغسلافيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكما حدث لقوات كاسترو في كوبا، وفي كل هذه المناطق الجبلية الوعرة كانت السيطرة الفعالة للحكومة المركزية صعبة بل وأحيانا مستحيلة ومما لا شك فيه أن الأراضي السهلية المنبسطة إذا تصادف وقوعها في ظروف مناخية ملائمة تكون مثل هذه الأراضي أفضل بكثير من غيرها من الأراضي التي تقع في منطقة جبلية وعرة، على الرغم من أن الجبال قد تحوي ثروات معدنية أو إمكانيات لتوليد الطاقة المائية إلا أن الأراضي السهلية لو اقترنت بظروف مناخية مناسبة فهي أفضل الأراضي للتقدم الاقتصادي وللنشاط البشري بصفة عامة.

ويعيش معظم سكان العالم حاليا في أراضي سهلية. وقد قامت الحضارات القديمة في السهول الفيضية في وادي النيل ووداي الرافدين، وقد نفر الناس من سكن الجبال والجهات المرتفعة لجدبها وفقرها ولجأوا إلى الأراضي السهلية، حيث تجود فيها الزراعة وتسهل الحركة بين أجزائها المختلفة فلا يضطر الناس إلى الحركة صعوداً وهبوطاً، والدول التي بها أراض سهلية تستطيع أن توفر لسكانها حاجاتهم من الحبوب والمنتجات الغذائية التي تنتجها الأرض. وقد كان لضآلة الأراضي السهلية القابلة للزراعة في اليابان والجزر البريطانية أثر كبير على هذه الدول. فتجد أنها تعتمد على غيرها في الحصول على جزء كبير من حاجتها إلى هذه السلع.

وكحال بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكيف أن كل المنتجات الغذائية كانت توزع بالبطاقات لفلتها وللحصار الذي تعرضت له ولصعوبة الحصول على مواد مثل السكر والحبوب وغير ذلك من البلاد المنتجة لها، وتضطر اليابان حاليا إلى استيراد تحو ثلث حاجتها من الغذاء للاستهلاك المحلي.

وبعد استواء السطح أمرا حيوياً جداً في البلاد التي تعتمد فيه الزراعة على الري، وحتى الأراضي التي تقوم فيها الزراعة البعلية (أي الزراعة التي تقوم على مياه الامطار)، نجد أن الأراضي السهلية المنبسطة أفضل بكثير في الزراعة من غيرها من الأراضي المرتفعة و ذلك لسهولة اجراء العمليات الزراعية، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والاتحاد السوفيتي سابقاً فالسهول الواسعة مكنت من استخدام المكننة على نطاق واسع فيما يعرف بالزراعة الواسعة.

والمناطق السهلية يسهل بسط الأمن فيها وتطبيق القانون على العكس من الاراضي الجبلية التي قد يضعف فيها التماسك السياسي بين اجزاء الدولة فقد يكو للجماعات البشرية التي تقطن الجبال افكار واهداف مختلفة قد تحدث قوى مناوئة داخل الدولة كما هو الحال في الاكوادور.

كما ان للتضاريس الأثر الكبير في اختيار تكتيك الاسلحة التي تستخدم في ميدان الحروب، فسهول روسيا الفسيحة وصحاري شمال افريقيا الرملية وصحراء الربع الخالي بالمملكة العربية السعودية تعتبر ميداناً جيداً الاستعمال الدبابات بينما مرتفعات الترويج وجبال الالب لا يصلح فيها استعمال الدبابات، اذ تنجح حرب العصابات والتسلل في الاراضي الجبلية والمرتفعات والاراضي التي تغطيها الغابات، ومن الأمثلة للدول التي قامت في مناطق جبلية مثل دول أمريكا الوسطى وكولومبيا وأكوادور وفنزويلا، كذلك من الدول التي قامت في منطقة جبلية ثم مدت نفوذها إلى الاراضي المجاورة ايران وتركيا، ومن امثلة الدول التي قامت في أراض سهلية فرنسا وروسيا وكندا ومن امثلة الدول العربية مصر والعراق.

المحاضرة الخامسة (الاسس البشرية للدولة)

المقومات البشريةConstituents of human :

بعد السكان عاملاً أساسياً في قيام الدولة وبناء قوتها عبر تفاعلهم مع الأرض التي تقوم عليها تلك الدولة تأثيرا وتأثرا ، والثروة البشرية بحد ذاتها عامل قوة للدولة فيما إذا توافر فيها عامل النوع مع الكم ، إلى جانب بعض الصفات الثابتة كالتجانس القومي واللغوي والسلالي والديني وكلما توفرت تلك الصفات في سكان الدولة كلما زادت قوتها ونعمت بالاستقرار والتماسك الداخلي ، وحينئذ تعد دولة نموذجية تتطابق فيها الحدود السياسية الرقعتها المساحية مع الحدود القومية التي تمثل أرثا اجتماعيا وتاريخيا لرعاياها، والمقومات البشرية للدولة هي:

1السكان

لا توجد دولة دون أرض، كذلك لا توجد دولة دون سكان والسكان هم الذين يصونون الأرض ويخضعون لقوانين الدولة وبحكم الميلاد هم المواطنون والسكان عامل حيوي ديناميكي متغير في داخل الوحدة السياسية، وسبب التغير في الواقع هو ناتج عن الزيادة الطبيعية والهجرة مما يؤثر في التركيب العمري والنوعي والاقتصادي والعرقي للسكان، وقد ينعكس ذلك على المشكلات العنصرية السائدة في بعض المجتمعات، قد

تسبب مشكلات سياسية محلية في داخل الدولة أو بينها وبين جيرانها. راح وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة السكان من ناحيتين:

. الأولى من الناحية الاثنوغرافية وتشمل السلالة واللغة والدين. الثانية من الناحية الديموغرافية وتشمل نمو السكان وعددهم ونوعهم وكثافتهم وتوزيعهم الجغرافي.

والسكان ليسوا طاقة إنتاجية وحسب، بل هم أيضا طاقة ثقافية وتاريخية بمقدار ما يتاح لهم أن يناقشوا وأن يفكروا وأن يبدعوا وأن يبتكروا وأن يقدموا فن وثقافة تؤثر في التركيب السياسي للدولة، كما يعد سكان الدولة مقياس لقوتها ووزنها السياسي اذا توافرت لها المقومات الأخرى فالدول العظمى في العالم هي دول ذات حجم سكان كبير مثل الولايات المتحدة وروسيا

الاتحادية فالكثرة العددية لسكان تلك الدول مع توفر عدد من المقاومات الأخرى مكنها من بناء قوتها السياسية والعسكرية فأصبحت تؤدي دورا مهما في السياسة الدولية للعالم، ولكن يتوقف السكان ليكون عاملا مهما في قوة الدولة على ما يتمتع به سكانها من خصائص والتي تعني ما تتميز بها المجموعات البشرية عن الأخرى من خصائص من حيث النوع والسن واللغة والديانة والحالة التعليمية.

فمن حيث التركيب النوعي يمكن ملاحظته تركيبهم من حيث الجنس (عدد الذكور والاناث)، فبعض الدول تقل فيها نسبة الذكور ويزيد فيها عند الاناث وهذا في غالب الدول لا سيما الدول التي تخوض الحروب او عدد العاملين في القطاعات للدولة، ففي الدول التي تعرف اليوم بالمتقدمة تضطر المرأة لتعمل لتوفر سبل معيشتها، بينما في الدول النامية يكون عمل المرأة فيها بنسب محدودة الأسباب اجتماعية ودينية.

وبعد التركيب العمري للسكان حسب فئات الاعمار احد عوامل قوه الدولة أو ضعفها ففي الدول التي ترتفع فيها نسبه الاطفال دون سن الخامسة عشره ونسبه كبار السن يسبب لها مشكله في ارتفاع معدل الإعالة أما الدول التي ترتفع فيها نسبه الشباب فذلك يشكل اساس القوى العاملة لأنشطتها الاقتصادية وبأجور منخفضه. والهجرة سكانية اثار ايجابيه وأخرى سلبيه على الدول المرسلة والدول المستقبلة للمهاجرين فتسهم الهجرة من الدول المرسلة في حل مشكلة البطالة وزيادة دخلها مثل مصر وتؤثر سلبياً في تفريع الدولة من الأيدي العاملة والعقول اما على صعيد الآثار الإيجابية للدول المستقبلة للمهاجرين فقد وفر المهاجرون لها الايدي العاملة في حين تسبب اثار سلبيه كعدم التجانس بين سكانها كما في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية بل وحتى بعض الدول الخليجية

وتحدث الهجرة أيضاً في دول العالم النامية تحت دوافع شتى من أهمها الدافع الاقتصادي الذي يدفع بالسكان للهمرة نهر مراكز الجذب الاقتصادي، ومن امثلتها هجرة العمالة الأفريقية من مناطقها التقليدية إلى مراكز التعدين والمراكز الحضرية.

وبعد الدين والفقة من أهم تلك الخصائص تأثيراً في الخريطة السياسية للعالم سواء في رسم الحدود السياسية بين الدول أو في النزاعات السياسية بين الدول بل وداخل الدولة الواحدة.

و يؤثر المستوى التعليمي والتقدم العلمي للسكان تأثير كبير في قوه الدولة وهذا ما يفسر تسابق دول العالم خاصه الكبرى على جذب أكبر عدد من علماء الدول الأخرى للعمل فيها بشتي وسائل الجذب في مقابل معاناه الدول النامية من ظاهره هجره العقول.

2اللغة:

تمثل اللغة عنصرا مهما في تكوين الدولة لأنها الوسيلة التي يستطيع أفراد الدولة بواسطتها التفاهم مع بعضهم ويتمكنون من الإعراب عن مثلهم وثقافتهم وأدابهم، وإذا كانت الدولة تتحدث بلغة واحدة أصبح هناك نوع من التألف بين السكان، ويسر في التعامل الشعبي والرسمي..

فالعالم العربي يتحدث اللغة العربية، ولذا اختفت الحواجز بين السكان وأصبح من السهولة التعامل بينهم جميعاً في أي وقت وفي أي مكان، أما الدول التي تتعدد فيها اللغات فتكون لديها معوقات لدى السكان ويوجد نوع من العزلة النسبية بينهم رغم معيشتهم في بيئة واحدة. فعلى سبيل المثال نجد في الهند ١٥ لغة رئيسية فيما هدا اللهجات، والصين تشبه أفند، بينما نجد دولاً تعتز بلغتها كما في اليابان وألمانيا، وفي كندا بعد السكان يتحدثون لغتين فمنهم من يتحدث الفرنسية وآخرون يتحدثون الإنجليزية، وقد تصبح اللغة حداً سياسياً كما في الولايات المتحدة الذين يتحدثون الإنجليزية، بينما سكان المكسيك الواقعة في الجنوب منها يتحدثون الإسبانية.

ومن الدول التي تتعدد فيها اللغات أيضا، ولها أكثر من لغة رسمية سويسرا وبلجيكا فهناك أكثر من لغة رسمية في سويسرا وهي: الألمانية والفرنسية والإيطالية) وجميع هذه اللغات متساوية في الحقوق وكلها مستعملة في البرلمان، ويختلف الحال في بلجيكا عن سويسرا إذ يفصل الخط اللغوي بين الألمان الفلمنك وبين الوالون اللاتينيين. وقد هدد هذا الانقسام اللغوي وحدة الدولة في كثير من الأحيان لأن الوالون كانوا يتجهون نحو فرنسا بينما كان الفلسله يولون وجوههم شطر ألمانيا، وكانت الغلبة لعنصر الوالون بعد الاستقلال مباشرة، ولذلك جامد الفلسك للمساواة بهم، ووصل الفريقان أخيراً إلى المساواة معاً وخفت مرارة الشعور الذي كان يكنه كل فريق للآخر.

وبينما تتميز بعض القارات بالبساطة في تركيبها اللغوي نجد البعض الآخر يتميز بالتعقيد التفوي الشديد، ونعد قارة أفريقيا من القارات الشديدة التعقيد لغوياً إلى أبعد الحدود حيث تضم القارة نحو ٨٠٠ لغة. ومن أهم هذه اللغات: العربية والأمهرية والهوسا والسواحيلية والتشيكية البربرية والولوف السنغالية)، بل كان عامل اختلاف اللغة من الأسباب التي أدت إلى وجود إحساس بالغربة بين القبائل المتجاورة خاصة في وسط القارة ولقد ذهب التعدد اللغوي حتى إلى العناصر الأوروبية في جمهورية جنوب أفريقيا حيث يوجد البوير الدين يتكلمون اللغة الأفريكانية Afrikanns التي ترجع أصولها إلى الهولندية، وكذلك الإنجليز الذين يتكلمون الإنجليزية، وتضطر الدولة إلى الاعتراف باللغتين ويطلب من الموظفين إتقانهما معاً ولم تكن قارة آسيا أكثر حظا من قارة أفريقيا بالنسبة لتعدد لغاتها وتعقدها، إذ تضم الهند وباكستان نحو ٢٢٠ لغة يصرف النظر عن عدد اللهجات المحلية. وقد اضطرت حكومة الهند بعد الاستقلال أن تمتت الإنجليزية كلغة رسمية لتفادي هذا الخليط من اللغات وذلك عام ١٩٦٥م، ثم بعد ذلك قررت الحكومة الهندية اعتماد اللغة الهندية كلغة رسمية للبلاد وأصبحت بذلك اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية الثانية، حيث يتكلم بها المثقفون في البلاد ويتعلمها طلاب المدارس والجامعات الهندية، ولا تختلف الصورة في إندونيسيا عن نظيرتها في الهند وإن كانت اللغة الملاوية هي لغة التخاطب والتجارة، وفي الفلبين هنالك نحو ٤٦ لغة، وإن كانت التاخرج Taplogفي اللغة الرسمية وتستعمل أيضا الإنجليزية والإسبانية على نطاق كبير، وتظهر الطرفة في الصين، اذ يفهم الصينيون بعضهم بعضا حين يكتبون، ولا يفهمون بعضهم بعضا حين يتكلمون، ويرجع هذا إلى أن اللغة الصينية تستخدم رمزاً لكل كلمة ولكن هذه الى الرموز يختلف نطقها من مكان إلى آخر.

وتعتبر قارة أوروبا من القارات الشديدة التعقيد لغوياً فباستثناء ألمانيا والنسا لا توجد دولتان تتكلمان لغة

واحدة وإن كان الامتداد اللغوي لدولة ما قد يظهر في دولة أخرى، كما هي الحال في امتداد الفرنسية إلى بلجيكا وسويسرا، والإيطالية إلى سويسرا، والألمانية في جمهوريات التشيك والسلوفاك وبولندا وفرنسا وهكذا. هذا وتسود مجموعة اللغات الألمانية في وسط وشمال غربي أوروبا بينما تسود مجموعة اللغات الرومانية في غريب وجنوب أوروبا، بينما تسود السلافية في شرق القارة.

وبعد حاجز اللغة أهم الحواجز التي تفصل الشعوب بعضها عن بعض فالشعوب السامية تتعاطف وتتفاهم الاشت أكما في اللغة، وكانت اللغة العربية لغة العرب واللغة التي انال فما القرآن وله دين ١٥٠ هذه اللغة هي الرباط الوحيد الذي يربط بين شعوب العرب ويعطيهم أمة

واحدة تمتد بين المحيط الأطلنطي غرباً وحتى الخليج العربي شرقاً. وقد عمدت القوميات الحديثة التي انشأت لها دولاً بعد الحرب العالمية الأولى على دعم قومياتها يجعل لغاتها هي اللغة الرسمية الوحيدة في تلك الدول وفرضها على الاقليات والقوميات الموجودة داخل حدودها، كمال الدول الحديثة التي عملت على احياء لغتها القديمة التي قاربت على الاندثار مثل الحياه اللغة الكلتية في ايرلندا، وإحياء اللغة العبرية في اسرائيل، ومن هذا القبيل ايضاً محاولة فرنسا احياء اللغة الامازيغية في المغرب والجزائر وإنشاء قومية امازيغية تناهض بها القومية العربية السائدة في شمال افريقيا.

3الدين

الدين بمفهومه الرفيع والذي يتسامى عن كل الإشكالات المتعلقة بمفهوم التدين هو ظاهرة حضارية تقوم السلوك البشري وترفع من مستواه الأخلاقي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى الإنساني.

والدين عامل توحيد بين أبناء البشر بمادته السامية والراقية، لكن الحوادث التاريخية الناجمة عن الاعتقاد الخاطئ بدور الدين في الحياة تشير إلى أن الدين كان ولازال عاملاً رئيساً في إشعال الحروب، وباستخدامه ذريعة لتأجيج الرأي العام لتحقيق مأرب مخطط لها من قبل السياسة والأمر كله ناجم عن الفهم الخاطئ بل السيئ للدين وتوجيهه الوجهة غير السامية التي يجب أن يتجه لها.

ويمكن أن نقسم الدول إلى مجموعتين فيما يختص بالدين وهي فراغ مالى

المجموعة الأولى وهي التي يسودها السعام أو وحدة دينية وهي التي يعتنق أكثر من ٨٠% من سكانها دين واحد كما في العالم العربي باستثناء لبنان.

المجموعة الثانية: وهي التي تتعدد فيها الأديان كما في الولايات المتحدة الأمريكية التي يوجد فيها البروتستانت والكاثوليكية واليهودية وكذلك كندا التي يوجد فيها الكاثوليكية والبروتستانت (.

ومما لاشك فيه فان الانسجام الديني يصب في رواند قوة الدولة على العكس من التعقيد الديني والمذهبي الذي سيقود بلا شك إلى ضعفها وهوائها وربما إلى تفككها.

ويعتبر التجانس الديني لسكان دولة ما عاملاً مهماً يجمع شتائها ويوحد بينها رباط وثيق ويظهرهم للعالم حلوة لها شأنها، والإسلام خير دليل في أثره على العرب حيث جمع شملهم وجعلهم يخرجون لنشر الدين وتعاليمه على العالم. وإذا كان الدين بعد عاملا من عوامل التجانس السكاني للدولة، إلا أنه لم يعد كما كان قديماً من الأسباب التي تثار من أجلها الحروب والمنازعات، حيث فترت روح التعصب الديني التي كثيرا ما أشعلت الحروب في العصور القديمة والوسطى، كما حدث في الحروب الصليبية التي استمرت سنوات طويلة وقد حل التسامح الديني نتيجة انتشار الثقافة، وتغلب المصالح الاقتصادية والسياسية على الاعتبارات الدينية.

المحاضرة السادسة (مفهوم الحدود وانواعها)

الحدود في الجغرافيا السياسية

خريطة العالم السياسية توضح مجموعة من خطوط الحدود الفاصلة بين الدول المختلفة، وتجري هذه الحدود على اليابس في شتى الاتجاهات مرتبطة أحيانا بظاهرات طبيعية كالجبال والأنهار والغابات والمستنقعات ومتعارضة في أحيان أخرى مع هذه الظاهرات الطبيعية لكي تحدد ظاهرات بشرية مختلفة أو توضح مجهودات القوة العسكرية للدول في تخطيط حدودها، والحدود لا تنتهي عند ساحل البحر أو المحيط، فهناك حدود للدول تمتد فوق المسطحات المائية المختلفة، وهي لا تظهر على الخرائط السياسية العادية، كما لا تظهر مرسومة إلا حين تظهر مشكلة من مشاكل استغلال المسطحات المائية الثروة السمكية أو المعدنية.

وقد ثارت كافة الحروب بين الدول من أجل تعديل الحدود على اليابس، ولم تقم حتى الآن حرب واحدة من أجل تعديل الحدود فوق المسطحات المائية، ولكن الحروب الاقتصادية بدأت بين بعض الدول مثل أيسلندا وبيرو ضد أساطيل الصيد البريطانية والأمريكية على التوالي، وقد تتحول الحرب الاقتصادية إلى حرب ساخنة في فترة لاحقة، خاصة حينما يشتمل الأمر على استغلال الثروة المعدنية عامة والبترولية خاصة.

وفي الوقت الحاضر - في عصر حركة الطيران المتكاثفة - لم تعد الحدود مقتصرة على تلك الملامسة لليابسة وسطوح الماء، بل أصبحت هناك حدود للدول ترتفع في الغلاف الغازي فوق رقعات الدول المختلفة، فإلى أي مدى ترتفع سيادة الدولة على أجوائها؟ وما هي المشكلات المترتبة على سيادات الدول على الغلاف الغازي؟ وهل يمكن أن تؤدي بدورها إلى نزاعات وحروب؟

على هذا النحو يتضح لنا أن الحدود مشكلة معقدة لم تعد تمتد في بعد واحد مرتبط بالتنظيم الأرضي للدولة، بل تعددت أبعاد الحدود إلى مسطحات الماء وأعماقها، وامتدت إلى أغوار الفضاء الذي يغلف كرتنا الأرضية.

مشكلة تعريف الحدود وأقاليم الحدود أو التخوم

أياً كان تعقد الحدود في الوقت الراهن الا ان الحدود البرية تعد من ابرز الحدود التي اثارت وما زالت تثير المشاكل في جوهر العلاقات السياسية بين الدول كافة، لأنها تمثل الإطار الذي تمارس فيه الدولة سيادتها الفعلية، ذلك ولأن الحدود البرية للدول هي الأماكن أو النقاط التي تلتقي عندها الدول وتحتك فيها كتل الناس وتتفرق فيها المصالح الاقتصادية بتوجيه الدولة، ولهذا أثارت الحدود البرية مشكلات كثيرة خاصة بتعريفها: هل هي خط الحدود أم نطاق الحدود والتخوم؟

تعريف ظهر عبر التاريخ مصطلح قصد به الحدود وهو مصطلح (Frontiers) والذي يعني في اللغة العربية (التخوم): وهي عبارة عن منطقة ارضية تقع بين دولتين أو أكثر، وقد تكون منطقة التخوم عبارة عن جبال أو غابات او صحاري او انهار أو مستنقعات، فالتخوم غالباً قد تصبح موضوع صراع وتنافس بين الدول على المتجاورة بسبب رغبة كل منها بضم منطقة التخوم اليها.

وقد رأى المحامي الفرنسي لابرادل أن الحدود والتخوم أمران مختلفان، فهو يتفق مع رانزل في أن الحدود لا يمكن فصلها عن إقليم التخوم، ويرى أن التخوم قائمة كأمر واقع قبل تحديد الحدود، وأنها لها صفاتها الخاصة السياسية والاقتصادية والقانونية، فالتخوم عنده هي بيئة انتقالية ويقسمها إلى ثلاثة أقسام:

١- المنطقة الحدية Territoire Limitrophe وهي المنطقة التي يمر فيها خط الحدود.

2نطاق الحدود Frontiers وهي المنطقة التي تمتد على جانبي الحدود وتخضع كل منها القوانين الدولة التي تنتمي إليها.

-3الجوار Le Voisinage وهي المنطقة كلها التي تشتمل على القسمين السابقين.

أما الجغرافي الفرنسي دي انسل .. Ancel فيقول إن دراسة الحدود ومناطق الحدود ليست مثمرة قدر دراسة محتوى العلاقات الدولية، فهو يقول : ليس الإطار هو المهم بل المهم هو ما يحتويه، وكذلك يقول: لا توجد مشكلة حدود وتخوم، بل المشكلة هي مشكلة أمم، ويستند في ذلك إلى أمثلة من الشعوب البدائية مؤكدًا – على سبيل المثال - أن قبائل البادية ليس لها حدود.

وقد عرف مصطلح الحدود الكثير من الجغرافيين والسياسيين والفلاسفة، لكن يمكن ان تجمل هذه التعاريف في أن مفهوم الحدود هي عبار عن خط تجريدي يفصل بين دولتين وبالتالي فهو يعرب عن نبض كل من الدولتين.

او هي عبارة عن خطوط وهمية من صنع البشر ولا وجود لها في الأصل، ويتم رسمها كخطوط متصلة أو مقطعة على الخرائط باستخدام الصور الجوية لتبين الأراضي التي تمارس فيها الدولة سيادتها والتي تتمتع فيها هذه الدولة وحدها بحق الانتفاع والاستغلال.

يدخل من ضمن أراضي الدولة ورقعتها السياسية المسطحات المائية التي تقع داخل حدودها السياسية سواء كانت أنهاراً أو بحيرات أو قنوات مائية، وكذلك أجزاء البحار التي تجاور شواطئها والتي تعرف بالمياه الإقليمية، وطبقة الجو التي تعلو هذه الرقعة السياسية المحددة. وعند هذه الحدود تنتهي سيادة الدولة وتبدأ سيادة دولة أخرى مجاورة لها بما لها من نظم سياسية واقتصادية خاصة بها وقوانين مختلفة

ان هذا الشكل التجريدي من الحدود الخطية الفاصلة لم تصل إليه القوى السياسية والقومية إلا مؤخرا نتيجة تضاغط المصالح والقوى في كل دولة، وعلى هذا فإن الحدود السياسية الحالية تمثل طغيانا حديثا على مناطق الحدود والتخوم القديمة، التي قال بها غالبية الجغرافيين ابتداء من فريدريك راتزل، واقتسام هذه المناطق الحدية إلى آخر شبر يمكن أن تصل إليه القوى الضاغطة من جانب واحد أو من الجانبين.

تعريف تخوم بين المجتمعات القبلية أو الدول ففي الماضي كان المتبع ترك مناطق حدية فاصلة القديمة، وهذه المناطق هي ما نعرفه حاليا باسم الشلة الحرام No man's Land ((التي تلجأ إليها الدول المتحاربة أحيانًا في محاولة لتقليل فرصة الاحتكاك بين هذه الدول، مثال ذلك الأرض منزوعة السلاح بين فيتنام الجنوبية والشمالية، وهذه الشقة الحرام كانت عبارة عن أراض مهجورة من السكان تتكون غالبا من بيئة صعبة مثل التلال أو المستنقعات أو الغابات

والأحراش. وفي الماضي أيضًا كان يمكن إنشاء دويلة أو إمارات صغيرة كمنطقة حاجزة بين دولتين أو مجتمعين متحاربين، وذلك أيضًا من أجل تحقيق الحد الأدنى من الاحتكاك العسكري، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك سويسرا التي قامت كدولة حاجزة بين فرنسا وألمانيا وإمبراطورية النمسا في منطقة التخوم الجبلية الفاصلة.

تصنيف الحدود

كان اللورد كرزون (١٩٠٧) هو أول من أشار إلى تصنيف للحدود طبيعي واصطناعي)، وقد تبعه في ذلك فوست (١٩١٨) ويوجز (١٩٤٠) اللذان أضافا الكثير من الدراسة التفصيلية لأنواع الحدود وصنوفها.

وقد قسم كرزون الحدود الاصطناعية إلى ثلاثة أقسام:

١- الحدود الفلكية astronomical وهي تلك التي تتبع خطوط الطول أو دوائر العرض مثل جزء كبير من الحد الأمريكي الكندي الذي يتبع خط العرض ٤٩ شمالاً، أو مثل كثير من الحدود في أفريقيا.

-2-الحدود الرياضية mathematical وهي تلك التي تربط بين نقطتين معينتين بخط مستقيم.
٣- حدود المنحنيات :Referential وهي تلك التي تربط عدة نقاط في صورة أقواس وخطوط مستقيمة، وهذه تظهر في تحديد الخطوط في مناطق محدودة.

كذلك اهتم كرزون اهتماما بالغا بأثر الحدود فجعلها قسمين: الحدود الحاجزة أو الفاصلة - وحدود الاتصال والحركة)، وقد تبعه في ذلك العديدون منهم المنتقد في هذا التصنيف للحدود وبيان آثارها، ومنهم المؤيدون وبرغم الاختلافات الكثيرة في تصنيف الحدود فإنه مما لا شك فيه أن الحدود السياسية الحالية ترتبط في مساراتها بثلاث مجموعات من الظواهر الجغرافية الرئيسية هي:

مستنقعات الحدود التي ترتبط بالظاهرات الطبيعية جبال - أنهار - بحيرات - بحار – غابات صحاري.

-الحدود التي ترتبط بالظاهرات البشرية: لغات وحضارات وديانات.

-الحدود التي ترتبط بالظاهرات الفلكية خطوط هندسية تتمثل غالباً في مناطق التقسيم السياسي الجديدة والتي كما اشرنا أنها تتبع خطوط الطول أو دوائر العرض في ترسيم حدودها.

وفيما يلي دراسة موجزة لهذه الأشكال الرئيسية من الترابط في الحدود السياسية.

(1) الحدود المرتبطة بالظاهرات الطبيعية

تتبع الحدود الطبيعية خطوط السلاسل الجبلية أو خطوط تقسيم المياه النهرية ومياه البحيرات ٤ والمستنقعات، كما تساهم مناطق الغابات والصحارى في تعيين الحدود الطبيعية.

الجبال محدود طبيعية

في الحدود الجبلية، نجد أطول حد جبلي بين تشيلي والأرجنتين تبعا لقسم جبال الانديز، كما أن الحدود الفاصلة بين الاسكا وكندا في القارة الأميركية هي حدود جبلية. وفي آسيا نجد الحدود الجبلية، على سبيل المثال، أجزاء من الحدود بين الصين والهند، وبين الصين والاتحاد السوفياتي السابق، وبين العراق وإيران وتوجد الحدود الجبلية الأوروبية بين إيطاليا وفرنسا تبعاً لجبال الألب، وبين فرنسا وإسبانيا تبعاً لجبال البرانس، وتقوم الحدود الجبلية بدور استراتيجي دفاعي، كما حمت هضاب الثبت وجبال هملايا بلاد الهند من الغزوات الشمالية، وكما كانت الحدود القائمة بين الامبراطورية النمساوية - المجرية وإيطاليا منذ سنة ١٨٦٦ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وللممرات الجبلية أهمية استراتيجية بالغة في السلم والحرب، كما هو ممر ديريل Dariel الذي يصل بين السفوح الشمالية والغربية لجبال القوقاز.

الانهار كحدود طبيعية

وفي الحدود النهرية، يساهم نهر الراين بتعيين الحدود الفرنسية - الألمانية / والحدود السويسرية

الألمانية، وكذلك نهر الدانوب على الحدود البلغارية - الرومانية. وفي إفريقيا يعتبر نهر كفالي بين ليبريا وساحل العاج، ونهر النيل في بعض أجزائه بين السودان والكونغو، وفي القارة الأميركية، يساهم نهر ريو غراند Rio Gronde بتحديد الحدود السياسية بين الولايات المتحدة

والمكسيك، ونهر أورغواي بين دولتي الأرجنتين والأورغواي. وفي آسيا تقف منطقة شط العرب النهرية على الحدود العراقية - الإيرانية، ويفصل نهر الأردن بين شرق الأردن وفلسطين، ويغطي نهر دجلة جزءاً من الحدود السورية - التركية، ويفصل نهر يالو Yalu بين الصين وكوريا الشمالية ونهر ميكونغ بين لاوس وتايلاند واستخدمت الأنهار خطوطاً دفاعية كما شكل نهر الدانوب خطأ دفاعياً تكثر حوله المستنقعات بالنسبة لرومانيا، وكما لعبت الأنهار الروسية دوراً دفاعياً كبيراً في الدفاع عن روسيا وكما ساعد نهر هوانغ في الصين على تعطيل الزحف الياباني إلى عمق الأراضي الصينية.

البحيرات كحدود طبيعية

وفي حدود البحيرات أو الحدود المارة في مياه البحيرات الكبرى، تعتبر بحيرة جنيف فاصلاً بين سويسرا وفرنسا، والبحيرات العظمى بين الولايات المتحدة وكندا حيث تشكل أكثر من ١٥٠٠ كيلومترا من الحدود المشتركة، وبحيرة تنزانيا بين الكونغو وتنزانيا، وبحيرة فكتوريا بين أوغندا وكينيا وتنزانيا.

الغابات والمستنقعات

تكون الغابات والمستنقعات أشكالاً مختلفة من العقبات والعوائق الطبيعية ضد سهولة الاتصال عبرها، ولا شك أن المستنقعات - خاصة إذا كانت تمتد في مساحات كبيرة - تشكل عقبة أمام تقدم الجيوش الزاحفة وبذلك فإنها تحتاج إلى تكتيك حربي خاص بها، لكن أسهل منه الالتفاف حولها إن أمكن، وبذلك فإن الحدود التي تجتاز المستنقعات إنما كانت في الماضي حدودا دفاعية جيدة، مثال ذلك حدود روسيا القيصرية في منطقة مستنقعات البريبت بينها وبين بولندا ، وكذلك مستنقعات بحيرة كيوجا وما جاورها التي كونت حماية طبيعية المملكة بوجندا القديمة من الناحية الشمالية، وهناك عشرات الأمثلة على دور المستنقعات في إقامة حدود دفاعية قوية بالنسبة لكثير من المجتمعات البدائية، كما أن مستنقعات شمال الدلتا المصرية قدمت حماية طيبة للدلتا الغنية من جهة الشمال بحيث إن مصر لم يجر غزوها من الشمال إلا في حالة واحدة الحملة الصليبية على المنصورة ونمياط التي فشلت أيضًا نتيجة الدفاع المملوكي والاستعانة بمياه الفيضان معا.

وما من شك في أن تكنيك الحروب الحديثة قد وجد حلا لمعارك المستنقعات متمثلا في دبابات وسيارات من نوع خاص، وقوارب عسكرية مؤهلة للحركة في المستنقعات أيضا، لكن ذلك لا يعني أنها فقدت قيمتها تماما، ولا أدل على ذلك من أن مستنقعات دلتا الميكونج في فيتنام الجنوبية ظلت مسرحًا لنشاطات الفيتكونج العسكرية طوال عشر سنوات من الحرب ضد التكنيك العسكري الأمريكي البري والجوي المتنوع والمستفيد دائما من خبرة المعارك ذلك أن حرب العصابات تشكل نوعاً جديدًا من الحروب التي تستفيد دائما من العقبات الطبيعية، خاصة الجبال والغابات والمستنقعات.

والغابات هي الأخرى عقبة طبيعية ضد حدود الاتصال، ومما يزيد هذه العقبة قوة أن الغابات في النطاق المعتدل البارد تنمو في المناطق الجبلية الوعرة القليلة الاستخدام والسكن، وبذلك تتضافر عدة قوى طبيعية على جعل مناطق الغابات حدود انفصال واضحة، ولهذا نجد الكثير من المناطق الغابية تشكل إمارات صغيرة خاضعة بصورة من الصور لحكم ذاتي يستمد قوته أحيانًا من قوى أخرى مجاورة، تغذيه وتساعده على البقاء كنوع من الدول الحاجزة، وفي أحيان أخرى كانت الدولة تنشئ إقطاعا لأمراء في مناطق الحدود الغابية، ومن ثم نشأت مصطلحات قديمة بهذا المعنى مثل «مارك Mark-March وقد نشأت عنها ألقاب نبالة قديمة مثل المركيز (صاحب المارك) ومارك جراف (بالألمانية أيضا صاحب المارك)

ج سواحل البحار:

تشكل السواحل البحرية خطوطاً طبيعية مناسبة لامتدادات السيادة القومية للدول، ربما هي أكثر وضوحًا وتحددا من الجبال والأنهار، فساحل البحر، ولو أنه في حد ذاته منطقة انتقالية طبيعية وليس خطا فاصلا، أنه في الواقع يفصل فصلا واضحًا بين نوعين منفصلين من البيئة اليابس الأرضي والمسطح المائي المالح، أما الجبال فهي ظاهرة تضاريسية انتقالية عريضة داخل اليابس، ولا تختلف عن اليابس في تكوينها، إنما الاختلاف يكمن في ارتفاع مناسيبها عن الأرض المحيطة بصورة تدريجية أو شبه فجائية، والبحار فهي تكون فعلا مناطق انقطاع تامة بين إيكولوجيتين مختلفتين تماما الحياة الأرضية حيث يعيش الإنسان وتتكون الدول والقوميات والحياة البحرية حيث لا يعيش الإنسان إلا انتقاليا لفترات محدودة جدا من العمر.

الحدود المرتبطة بالظاهرات البشرية:

من خلال مفهوم الحدود الذي اشرنا اليه بأنها هي حواجز اصطناعية يقوم الإنسان بتحديدها وزحزحتها حسب الظروف الزمانية وعلاقات القوى القومية والدولية مع بعضها البعض الآخر، وهناك دعاوى تؤكد ضرورة وصول القوميات والدول إلى حدود طبيعية - وهي التي يقال إن ريشيليو كان مبتدعها - فإن هناك دعاوى أخرى تطالب بأن تكون الحدود السياسية هي حدود بشرية تتبع السلالة واللغة والحضارة والدين. وقد تكون هذه الدعاوى أقرب إلى المنطق من دعاوى الحدود المرتبطة بالظاهرات الطبيعية، فحيث إن الحدود السياسية تحدد أراضي قومية معينة فمنطقي أن تضم - أو تسعى لضم - كل أبناء هذه القومية داخل حدود واحدة من أجل إعطاء توازن حقيقي للدولة مبني على تجانس أفراد الرعية قدر الإمكان). وسواء كان هذا أمرًا منطقيا أو غير ذلك، فإنه برغم فائدة هذا المنطق لحياة الدول إلا أن ذلك لا يمكن تطبيقه على الدوام لأسباب هي:

-1أن توحيد أبناء قومية واحدة متجانسة سلاليا أو لغويا أو حضاريا أو اقتصاديا» لا يتم إلا بواسطة صراع سياسي وعسكري تعكس نتيجته القوة المنتصرة، وفي هذه الحالة لا يكون هناك رادعا حقيقيا أمام أطماع المنتصر، فهو لا يلجأ فقط إلى محاولة ضم أبناء قوميته التي كانت توجد خارج حدوده، بل إن الانتصار يجعله ثملاً مغروراً فيلجأ إلى شتى التبريرات للاستحواذ على مزيد من الأرض على حساب غيره، اذ يلجأ إلى خلفية تاريخية قد ترجع إلى عقود أو قرون أو آلاف مؤلفة من السنين، كما يلجأ إلى مبدأ تأمين حدوده الجديدة فيقوم بالاستيلاء على أراض خارجة، وهو في أضعف الحالات يطلب نزع سلاح شقة حرام على طول الجبهة المواجهة لحدود الجديدة، وفي حالات أخرى يعطي لنفسه وصاية على الدولة المهزومة، وفي أقصى الحالات يفتت وحدة الدولة المهزومة أو يحتلها كلها إذا أمكنه ذلك. والشواهد على هذه الاتجاهات عديدة ولا تدع للشك مجالا؛ فألمانيا النازية طالبت بحدود قومية: احتلت النمسا عسكريا فيما أسمته بتوحيد الأوصال Anschluss في عام ١٩٣٨ ، وفي السنة ذاتها ضم الألمان إقليم

السوديت التشيكوسلوفاكي وتدريجيا سقطت جمهورية تشيكوسلوفاكيا بيد المانيا. وبعد سقوط ألمانيا في الحربين العالميتين قطعت كثيرا من وحدتها الأرضية بواسطة الحلفاء المنتصرين، وخاصة حينما قسمت بقية ألمانيا بعد عام ١٩٤٥ إلى دولتين أصبحتا بحكم الأمر الواقع - والآن شرعيا - دولتين معترفا بهما من غالبية المجتمع الدولي فضلا عن اعتراف كل من

هاتين الدولتين الألمانيتين ببعضهما، أذ حاولت الحكومة في المانيا الشرقية منع السكان من المغادرة بتحصين الحدود الغربية، وبدءاً من عام ١٩٦١ قامت الحكومة المانيا الشرقية بإنشاء جدار برلين لمنع الانتقال إلى ألمانيا الغربية المجاورة، لكن تم إعادة توحيدهما في ٣ أكتوبر من عام ١٩٩٠م حيث ضمت فيه جمهورية ألمانيا الديمقراطية، كان يعرف بألمانيا الشرقية، إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية، أو ما يعرف عادة بألمانيا الغربية.

٢ - وبما أن الظاهرات البشرية متغيرة وليست ثابتة مثل الظاهرات الطبيعية ثباتًا نسبيا، فإن الحدود التي تسعى للالتزام بالظاهرات البشرية هي حدود مؤقتة زمانا وتتغير بتغير تلك الظاهرات.

السلالة مفهوم كثير الظهور في العلاقات السياسية، ويعترف العلماء أن السلالة في حدود وقوالب جامدة لا وجود لها، وإنما هي عبارة عن ظاهرة انتقالية بحتة لعدد من الصفات المورفولوجية والوراثية فمثلاً العنصرية الآرية كانت تصف الآري النقي بصفات محددة مثل الشفرة وطول القامة، ولكن أشد دعاة العنصرية في التطبيق - أدولف هتلر - لم يكن آري الصفات، والأفكار العنصرية الخاصة بالنقاء اليهودي يدحضه الاختلاف الشاسع مثلا في مورفولوجية الأنف عند يهود روسيا وألمانيا وفرنسا ويهود المغرب والشرق الأوسط والحبشة واليهود السود في أمريكا. وقد تكون اللغة أحسن حالا من السلالة في التحديد القومي، لكن اللغات في تصنيفها التفصيلي تتكون من لهجات مختلفة، وأن اللهجات اللغوية المتاخمة لحدود لغوية تغزوها بكثرة مفردات واستخدامات لغوية مشتركة من اللغتين، حال ذلك اللهجتان الألزاسية واللوترنجية اللتان تتداخل فيهما الألمانية والفرنسية وفي شرق العراق تداخل لغوي عربي فارسي تركماني كردي، وقس على هذا كثير في أوروبا الشرقية وآسيا وأفريقيا. ومثل هذا، بل وعلى نطاق أعقد، نجد تداخل الأديان والطوائف بحيث تصبح مناطق بأكملها نطاقات

انتقالية، وتشهد على ذلك منطقة الجبال الالتوائية في شرق البحر المتوسط حيث تتواجد الأديان الثلاثة الكبرى (الإسلام المسيحية اليهودية، وتتعقد تداخلاتها وطوائفها تعقدًا كبيراً، لدرجة أن إسرائيل إحدى الدول القليلة التي قامت على فكرة الانتماء الديني تتداخل فيها الديانات الثلاثة وطوائفها تداخلا كبيرا، على الرغم من تهجير وإخلاء مناطق واسعة لأرباب اليهودية فقط

وخلاصة القول أن الحدود الإنتولوجية - سلالية أو لغوية أو دينية - لا وجود لها في صورة خطوط فاصلة إلا في أضيق الحدود، ولا تظهر إلا بمعاونة عوازل جغرافية مانعة، وفي

صورة نطاقات انتقالية متراوحة الاتساع والضيق، وأن هذه النطاقات الانتقالية تسود فيها نسبة لا بأس بها من التجانس الديني

ونسبة أعلى من التجانس اللغوي. هذا التجانس الإتنولوجي النسبي لا يظل ثابت الوجود، بل يتغير تدريجيا وزمانيا نتيجة تفاعلات داخلية وخارجية، مثال ذلك انتشار البروتستانتية بأشكالها المختلفة على مسرح الكاثوليكية في ألمانيا أو بريطانيا. وان هذا التفاعل هو مصدره لانتشار الانسان حامل الصفات الاتنولوجية - وهو عنصر دائم الحركة، وكانت هناك محاولات منذ القدم لتجميد هذا الانتشار، فمثلاً إقامة الحوائط والأسوار الضخمة في الصين والدولة الرومانية لوقف الظاهرات البشرية الانتقالية وتجميدها عند حد معين، فسور الصين العظيم هو أطول أسوار الدنيا الصناعية؛ إذ يزيد طوله عن ٢٥٠٠كم ليحمي سهول الصين من المغول الرحل في صحراء منغوليا وفي أوروبا بنى الرومان السور الألماني Lines gemanicusالذي بني من نويفيد على الضفة الشرقية لنهر الراين) إلى كيلهايم على نهر الدانوب وفصل بذلك بافاريا والدولة الرومانية عن القبائل الجرمانية، والامثلة على ذلك كثيرة ومستمرة لحد الآن في صور مختلفة.

الحدود التي ترتبط بالظاهرات الفلكية:

وهي حدود وهمية ايضا، تتبع في الحقيقة خطوط الطول ودوائر العرض، وهذه الحدود قائمة نتيجة معاهدات واتفاقات دولية. وقد تكون حدوداً مستقيمة كما الحدود بين ولاية أريزونا والمكسيك، وبين كولومبيا وبيرو، وبين مصر وفلسطين في منطقة سيناء . إن معظم حدود الدول الأفريقية وهمية وضعت في القرن التاسع عشر خصوصاً بعد مؤتمر برلين، وكذلك

حدود الدول العربية التي رسمت بعد اتفاقية سايكس بيكو في سنة ١٩١٦ ، واتفاق سان ريمو في سنة ١٩٢٠ بين عدد من الدول الاستعمارية، مما ولد مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية ضخمة، وعرض الأمن العربي الشامل للمخاطر.

كذلك حدود مصر وليبيا، وحدود مصر والسودان، وحدود جمهوريات الصومال - في العهد الاستعماري هي حدود فلكية. وكذلك حدود أوغندا وتنزانيا، وحدود الولايات في أستراليا، وبعض حدود الولايات المتحدة مع كندا، وحدودها ايضا مع المكسيك .. جميعها حدود وهمية تتبع خطوط الطول والعرض، وأنت نتيجة معاهدات واتفاقات دولية في مراحل مختلفة، وهي

ترتبط بشكل أو بآخر بمرحلة التوسع الاستعماري الأوروبي داخل آسيا وإفريقيا على وجه الخصوص.